المناضل

في سبيل الوحدة والحرية والاشتراكية

يصدرها المكتب الثقافي لحزب البعث العربي الاشتراكي

في هذا العدد

- سبيلنا أن نكون أقوياء موحدين بالمواقف والعمل
- هكذا هو البعث وهذه هي ثورته
- صفحات من تاريخ الحزب دورات مجلس الحزب
- الولايات المتحدة الأمريكية ومنظمة التحرير الفلسطينية: العلاقات من السرية الى العلنية

العدد ٢٣٠ آذار ١٩٨٩

المناضل

في سبيل الوحدة والحرية والاشتراكية

[illegible] حزب البعث العربي الاشتراكي

يصدرها مكتب الإعلام والنشر في القيادة القومية

في هذا العدد

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحية	
★ هكذا هو البعث وهذه هي ثورته ..	٢
الرفيق الدكتور فواز صياغ عضو القيادة القومية الاحتياط « رئيس هيئة التحرير »	
● ٨ آذار	
★ سبيلنا ان نكون اقوياء موحدين بالموقف والعمل ..	٧
كلمة الرفيق المناضل حافظ الاسد الامين العام للحزب في ذكرى الثورة	
● صفحات من تاريخ الحزب	
★ دورات مجلس الحزب ١٩٤٧ ـ ١٩٥٧ الحلقة الاولى	٢٩
الرفيق : جورج صدقني	
● دراسات سياسية	
★ التضامن العربي نظرة تاريخية وآفاق جديدة ..	٤٧
الرفيق : عدنان مسلم	
★ الولايات المتحدة الامريكية ومنظمة التحرير الفلسطينية : العلاقات من السرية الى العلنية	٦٤
الرفيق : د. فازي حسين	
● دراسات فكرية	
★ ثورة آذار ومهمات البناء الثقافي في صورته القومية الاشتراكية ..	٨٦
الرفيق : فايز عز الدين	

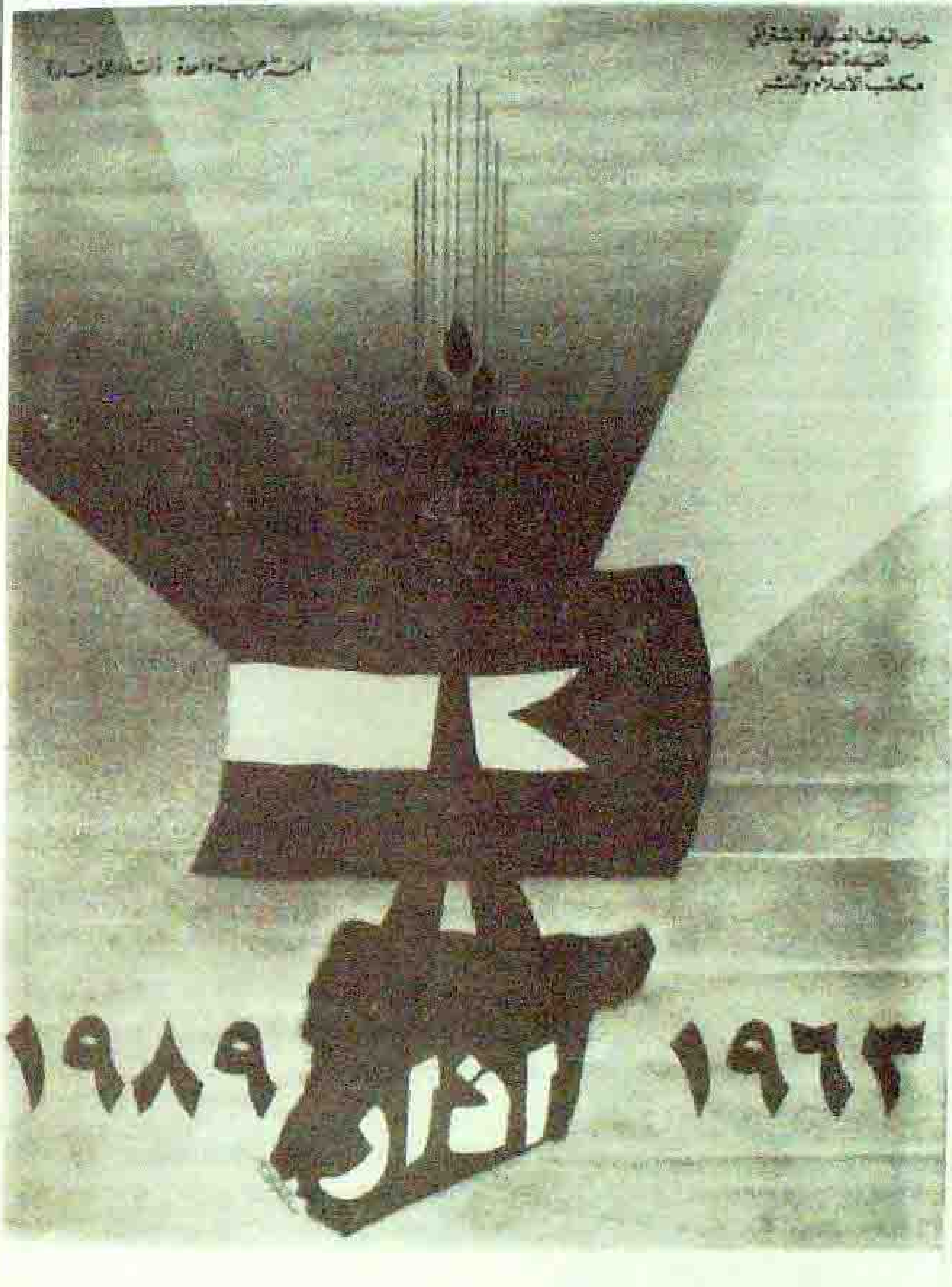

الافتتاحية

هكذا هو البعث وهذه هي ثورته..

الرفيق الدكتور فواز صياغ
عضو القيادة القومية للاحتياط
رئيس هيئة التحرير

في سجل الاحداث التاريخية التي مرت بها الامة العربية في النصف الثاني من القرن الحالي تبرز ثورة الثامن من آذار عام ١٩٦٣ في القطر العربي السوري كحدث ذي ابعاد تجاوزت حدود سورية الى مساحة الوطن العربي بأجمعه . فهي بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي وبتخطيطه وتنفيذه لها ، واستلهامها لمبادئه الاساسية والعامة قد وضعت قدمها على طريق الاستمرار والديمومة ، وهي من الصفات اللازمة لوضع الاهداف ـ القريبة والبعيدة ـ موضع التطبيق العملي من اجل مصلحة العامل والفلاح وجميع الطبقات الشعبية الكادحة صاحبة المصلحة في هذه الثورة ومبادئها .

ان ما ميز ثورة البعث في القطر العربي السوري هو التمسك التام بتلك الاهداف التي اعلنها الحزب منذ تأسيسه ، وعدم التنازل عنها او التفريط بها او المساومة على اي منها ، فمهما بلغت الصعوبات امام الثورة ورجالها في مختلف الظروف ورغم ما واجه الثورة من

ضغوط عربية ودولية ورغم ما مرت به الثورة من مصاعب داخلية سواء على صعيد اداتها وهو الحزب او على الصعيد القطري في سورية ــ رغم كل ذلك ــ بقيت الثورة متمسكة بتلك الاهداف مناضلة لتحقيقها مدافعة عنها مضحية في سبيلها .

فاول ما واجه الثورة في القطر العربي السوري من احداث لا تصمد امامها الا الثورات الاصيلة . كان انتكاسة ثورة الحزب في العراق التي قامت في الثامن من شباط عام ١٩٦٣ وبعد اقل من تسعة اشهر من قيامها في الثامن عشر من تشرين الاول ١٩٦٣ ، كان ذلك حدثا رهيبا هز الحزب كله ، وتاثرت به ثورة آذار في سورية تاثرا عظيما . وبعد ثلاث سنوات واجه الحزب ازمة داخلية مربكة تجاوزتها قواعده بحركة ٢٣ شباط ١٩٦٦ خرجت منها الثورة كذلك اكثر صحة وعافية ونشاطا ، وتقدمت لترسيخ اقدامها الاشتراكية والجماهيرية لتواجه وبعد عام ، غزوة خارجية شنتها الصهيونية العنصرية والامبريالية ممثلة بعدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧ على كل من سورية ومصر والاردن . كان احد اهداف هذا العدوان اسقاط الثورة وتحطيمها ، وبعد ذلك العدوان عاش الحزب وهو اداة الثورة ومحركها وقائدها احداثا كادت تنعكس على مجمل مسيرة الحزب وثورته الرائدة ، وبشعور المسؤولية العالي واستشراف المستقبل ، واستلهام ارادة الحزب والجماهير انطلقت الحركة التصحيحية بقيادة الرفيق المناضل حافظ الاسد لتعيد للحزب وللثورة صفاءهما ولتعدل مسيرتهما في مواجهة الحياة والتحدي والتاريخ .

لقد وعت الامبريالية والصهيونية والرجعية ان مبادىء الحزب واهدافه هما الخطر الدائم الذي يتهدد وجودها ومصالحها ، لذلك كان التركيز مستمرا على الحزب وثورته في سورية ولم تمر ساعة في الحياة تخلو من التآمر والتخطيط للنيل منهما ، وعرقلة مسيرتهما وخلق الصعاب امامهما ، خصوصا بعدما برز دور الحزب وثورته في

التخطيط والتنفيذ لابرز معارك العرب المعاصرة في مواجهة الغزو الصهيوني وهي حرب السادس من تشرين الاول التحريرية عام ١٩٧٣ .

وقد وجدت القوى المعادية للامة العربية ان في استمرار الحزب وثورته في سورية خطراً لا بد من مواجهته وخلق المصاعب العديدة امامه ، فبرز التآمر الداخلي من قوى الردة السوداء واليمين المحافظ والبرجوازية الطفيلية والراسمالية الجشعة وقوى العمالة، برز ذلك خصوصا بعد اسقاط اتفاقات كامب ديفيد السيئة الذكر. واستطاعت الثورة ان تنتصر على التآمر وخرجت اشد قوة ومنعة واكثر تصميما على مواجهة المؤامرة وادواتها . وبعد فشل ذلك واجهت الثورة المؤامرة التي حيكت في لبنان لتمزيقه ، ونشر المبادىء الانعزالية والطائفية والتقسيمية ، بقصد التاثير المباشر على سورية وثورتها ..

وكان الموقف القومي الوحدوي الذي وقفه الحزب وقيادته في مواجهة ذلك . وعندما عجزت ادوات الصهيونية بنفسها استعانت بموجهها وراعي وجودها « اسرائيل » حيث شنت عدوانا مباشرا استهدف القوى الوطنية اللبنانية وقوات الثورة العربية السورية التي تدعمها .

وتجاوزت الثورة ذلك وواجهت العدوان الصهيوني على لبنان والقوى الحليفة له وواجهت كذلك القوات المتعددة الجنسية وفي مقدمتها القوات الامبركية التي جاءت لتساند قوى الردة المتصهينة في لبنان ، وخرجت تلك القوى الاجنبية يجللها العار وتتوجها الهزيمة .

لقد وضعت الثورة نصب عينها قضية العرب المركزيةفي فلسطين كقضية اولى يجب عدم التنازل عنها او التفريط بها وهذا نتيجة طبيعية لتحليل الحزب بان الصراع الدائر في وطننا اليوم هو صراع بين جماهير الامة العربية وبين اعدائها ممثلين بالقوى الصهيونية

والامبريالية والرجعية وحلفائهم . لذا اعتبر الحزب ان قضية الاحتلال الصهيوني لفلسطين عمل عدواني يجب مقاومته ودحره وطرد المحتلين ، وتصفية جيوبهم وعودة فلسطين الى اصحابها العرب دون اي تنازل او تفريط بالحقوق التاريخية للامة العربية واجيالها المتعاقبة .

وما زالت ثورة الحزب في القطر العربي السوري تعالج هذه القضية القومية من هذا المنطلق وتواجه المؤامرات المستمرة التي تسعى للتنازل او التفريط بتلك الحقوق والساعين للوصول الى حلول لا تخدم مصالح الامة وجماهيرها مهما كان لبوسهم ومهما كانت الجهة التي ينتمون اليها . والثورة بموقفها هذا تعبر عن ضمير الامة وماضيها وتستلهم مستقبل اجيالها ومصالحهم . لقد رسخ الحزب وثورته مبادىء الصمود والتصدي وعلى هذه القاعدة انطلقت الجماهير العربية في جميع الاراضي المحتلة تقاوم المحتلين واعوانهم ، فانتفاضة العرب في الارض الفلسطينية المحتلة ، وصمود سكان الجولان في وجه العدو ومخططاته الالحاقية ، ومقاومة المناضلين في جنوب لبنان ، كل ذلك ارتكز اولا على قاعدة الصمود القومي الذي رسخه الحزب وثورته في القطر العربي السوري .

ان منجزات الثورة وعلى مدى ربع القرن الماضي في مجالات البناء المتعددة في القطر العربي السوري مسالة يخطئها الحصر رغم الظروف الصعبة التي واجهتها الثورة كما ذكرنا . والثورة بقيادة الحزب وامينه العام الرفيق حافظ الاسد رئيس الجمهورية مصممة على الاستمرار في هذا الطريق : البناء والتحرير ، بناء الوطن وتحرير المحتل منه وهذان هما جناحا الثورة ، بغيرهما لن تستطيع التحليق في وجدان الامة العربية وسمائها للوصول الى كل مواطن عربي ، تلامس جروحه ، تتبنى اهدافه ، تعانقه ، تضمه لتصبح جزءا منه ويصبح جزءاً منها . هكذا هو البعث وهذه هي ثورته .

٨ آذار

كلمة الرفيق المناضل
حافظ الاسد
الأمين العام للحزب
في ذكرى الثورة

سبيلنا أن نكون أقوياء موحّدين بالموقف والعمل..

القى الرفيق المناضل حافظ الاسد ، الامين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي – رئيس الجمهورية العربية السورية يوم الثامن من آذار ١٩٨٩ ، خطابا قوميا شاملا وهاما بمناسبة الذكرى السادسة والعشرين لثورة آذار المجيدة ، وفي افتتاح المؤتمر الخامس للاتحاد العام النسائي في القطر الذي توافق مع احياء هذه الذكرى ، وفيما يلي تنشر المناضل النص الكامل للخطاب القومي الشامل :

ايتها الرفيقات عضوات المؤتمر:

ايتها السيدات ايها السادة:

ببالغ السرور احيي مؤتمركن أطيب تحية، وارحب بالوفود التي لبت الدعوة لحضوره، واتمنى لعضوات هذه الوفود اقامة طيبة في قطرنا وحضورا مثمرا في المؤتمر .

ويسعدني ان يكون انعقاد المؤتمر الخامس للاتحاد العام النسائي باكورة اللقاءات في قصر الامويين، هذا الصرح الذي شيدناه ودشناه بمناسبة ذكرى ثورة الثامن من آذار المجيدة، ليكون منشأة حضارية للمؤتمرات والنشاطات الثقافية التي تجري في بلادنا .

ويسعدني ايضا ان يتوافق افتتاح هذا المؤتمر واحياء الذكرى السادسة والعشرين لثورة آذار . ان هذا التوافق يرمز الى

الصلة الوثقى بين الثورة والنهضة الحلية للحركة النسائية التي واكبت ثورة الثامن من آذار، والتقدم الذي حققته المرأة العربية السورية في كنف الثورة، على طريق التحرر من رواسب الماضي، وممارسة دورها في المجتمع وحقوقها التي سلبتها اياها ظروف تاريخية معقدة ومتشابكة ومظلمة مرت بها بلادنا على امتداد قرون كثيرة من الزمن، كما يرمز الى انطلاق المرأة لأخذ مكانها الطبيعي في مجالات الحياة الرحبة .

وهذا التطور الكبير الذي حققته المرأة في سورية انما هو ثمرة نضال المرأة ذاتها، ونتيجة التجاوب والدعم اللذين لقيهما نضالها من قيادة الحزب والدولة في ظل ثورة الثامن من آذار . ان هذا التجاوب وهذا الدعم انبثقا من فكر وقناعة لدى الثورة، ان المرأة ركن من اثنين في الحياة والمجتمع، لاتكون الحياة ولا تتقدم ولا تعدل الا بهما معا، ولايكون المجتمع ولا يتقدم ولا يعدل الا بهما معا . فالمرأة هي الجزء الاساسي الآخر من المجتمع، وعليها ان تعمل على تنميته واغنائه روحيا وماديا ، وان تنال نصيبها العادل من نمائه وتطوره، ولكي يحصل كل هذا كان لابد من خلق الظروف التي تمكن المرأة من العطاء والاخذ، وهذا ما ادركته الثورة واهتمت به وقطعت على سراطه اشواطا بعيدة، وبذلت في سبيل ذلك جهودا مضنية تنعم المرأة الآن بثمارها في جميع ارجاء بلادنا .

لقد نالت قضية المرأة وحقوقها الاهتمام الذي تستحقه من فكر الحزب، وانعكس هذا الاهتمام في نصوص واضحة تضمنها دستور الجمهورية العربية السورية، وعلى اساس العقل والمنطق، وأخذا بالاعتبار البعد الانساني والاخلاقي والوطني يقوم ترابط حكمي بين حقوق الرجل وحقوق المرأة . المرأة بالنسبة للرجل هي الام والزوجة والاخت والبنت، والرجل بالنسبة للمرأة هو الاب والزوج والاخ والولد . ومن هنا ينتفي اي معنى للقول اننا ننصف الرجل ونحن نظلم المرأة، او اننا ننصف المرأة ونحن نظلم الرجل، فظلم احدهما هو ظلم للاخر، ولا يكون العدل عدلا مالم يكن للمرأة والرجل على السواء .

ومادام كل من المرأة والرجل يشكل احد ركني الحياة

والمجتمع، ومادام ظلم احدهما ظلما للاخر فهو بالتالي ظلم للمجتمع، واذا نظرنا الى الحاجات المادية والروحية للمجتمع، وان الظلم يعني انتزاع الحقوق وهذا بدوره يؤدي الى اقلال الانتاج والانتاجية في مختلف الميادين المادية والروحية للمجتمع، ادركنا كم يلحق بالشعب من الضرر وبالمواطنين من العناء عندما تفتقد المرأة حقوقها وتغيب طاقاتها بعضها أو جلها عن دائرة الفعل وعملية إغناء الحياة، مما يناقض جوهر الحياة وقوانينها الموضوعية، ويناقض دور الانسان في تطوير انسانيته وجدلية علاقته بالحياة .

وعلى أساس وعينا جميعا للحقائق الطبيعية والحقوق الحياتية وظروف التطور التاريخي، لابد من الاشارة الى ان الرجل مازال يتحمل المسؤولية الكبرى في العمل على وضع الامور في سياقها الحياتي الطبيعي، مع التشديد على اهمية استمرار نضال المرأة وتكثيف جهودها في سبيل عملية التطبيع هذه، وذلك انطلاقا من مسؤوليتها أولا، ومن أجل اختصار الطريق وتسريع تصويب الامور ثانيا .

في اطار هذه الرؤية كان مافعلناه في ظل الثورة وفي اطارها سيستمر عملنا في المستقبل، ونحن ندرك ان الطريق رغم تسويتها وتعبيدها مسافات ليست قصيرة، فهي لم تخل من الشوك بعد، ولكن مهما بقي منه، ومهما نبت منه من جديد، فلن يثبت امام ارادة الحياة والعدل والتطور التي يملكها الانسان وتشكل سلاحه الفعال في تذليل الصعاب .

وفي اطار هذه الرؤية سنت التشريعات واتخذت القرارات التي مكنت المرأة من تبوؤ مركزها الذي تتبوؤه اليوم في مجتمعنا، والتي افادت منها المرأة وأفاد منها

دور المرأة في المجتمع

ويؤدي الاتحاد العام النسائي دوره الهام في قيادة نضال المرأة وتسهم هذه المنظمة الشعبية النسائية مع غيرها من المنظمات الشعبية في بلوغ تحقيق هدف الثورة في تنظيم المجتمع ودفع تقدمه . ان ماحققه الاتحاد العام النسائي منذ بدء مسيرته

من تطور ونجاح من حيث تنظيم القطاع النسائي يستحق التقدير • وستظل هذه المنظمة الشعبية موضع رعاية قيادة الحزب ودعمها لتواصل مسيرة النجاح ولتنهض بمهماتها على خير وجه •

ان المرأة العربية في سورية تساهم الآن في مكافحة الامية بعد ان كانت ضحية الامية شأنها شأن نسبة كبيرة من الرجال • والمرأة تساهم الآن في تأمين الدخل لنفسها واسرتها بعد ان كانت عالة على الرجل في الاسرة، والمرأة تساهم الآن في كل مجالات العمل • والمرأة الآن ذات حضور واضح في عضوية القيادات الحزبية، وقيادات المنظمات الشعبية، ومجلس الشعب، ومجلس الوزراء، ومجالس الادارة المحلية بمختلف مستوياتها، اضافة الى اقتحامها مجال العمل العسكري، واضافة الى ممارستها الاعمال المهنية من طب وصيدلة ومحاماة، والاعمال الادارية والدبلوماسية وتبوئها المناصب القضائية وحضورها البارز في مجال التعليم بمستوياته كلها •

وتقدم المرأة العربية السورية التي شقت طريقها في الحياة، ومارست حقوقها الطبيعية، ساعدها على ان تؤدي واجبها بشكل افضل بصفتها أما وبصفتها زوجة • وشحذ هذا التقدم همتها ورفع مكانتها الوطنية والقومية، عبر مشاركتها في النضال الوطني والقومي، بما في ذلك النضال المسلح، فاذا بنا نرى الشابات يندفعن نحو المعركة بايمان وتصميم محطمات كل العوائق وبالغات اعلى مراتب التضحية ببلوغهن الشهادة •

لقد تجلت بطولة المرأة العربية بأبهى صورها في موطن النضال، وهي تتصدى للعدوان والاحتلال في أرض الجولان، وفي جنوب لبنان، وفي فلسطين المحتلة، فلمعت في سماء الوطن العربي أسماء شهيدات كأنهن الكواكب الدرية، بما تبدى في أعمالهن من نكران للذات وكرم في العطاء وهيام بالوطن وبطولة في الجهاد • وستبقى اسماؤهن عنوان الايمان بالوطن، ومشاعل مضيئة تنير الطريق لنا وللاجيال المقبلة • فالطريق الذي سلكته الشهيدة البطلة حميدة الطاهر ورفيقاتها منار ابدا بثريات المجد والطهارة والشرف •

نمجد الشهادة والشهداء، النساء منهم والرجال، ونحفظ امثولتهم ونقتدي بهم، فطريقهم هي طريق الشرف، طريق الكرامة، طريق النصر •

فلنكمل السير على هذه الطريق لنبلغ الغايات النبيلة التي نقصدها، غايات تحرير ما احتل من ارض، واسترداد ما اغتصب من حق، كي نتابع بأمان واطمئنان بناء المجتمع الذي نريد، مجتمع الانتاج الوفير والرفاه والعدل للجميع، مجتمع الحرية مجتمع القيم الرفيعة، فلا معنى لمجتمع لاقيم له يدافع عنها •

معركتنا متعددة الجوانب

ان المهمات الوطنية والقومية التي ننهض بها، تستدعي تعبئة كل قوانا وحشد كل طاقاتنا، وهذا ما يؤكد بالتالي افساح المجال امام المرأة للمشاركة في القيام بهذه المهمات •

ان سورية تخوض معركة متعددة الجوانب، معركة وطنية وقومية، معركة بناء وتنمية، ومعركة دفاع وتحرير • وهدفنا ان يستعيد وطننا العربي مكانته الحضارية بعد ان نتخلص من تركة المشاكل والمتاعب والمصاعب التي خلفتها لنا عهود الاستعمار، تلك العهود التي اورثت الوطن العربي التخلف والتجزئة والخطر الصهيوني الذي غرسته في أرض فلسطين، قلب الوطن العربي •

وقدر سورية بما هي تاريخا وموقعا ومكانة وريادة، ان تقود المسيرة بعد الاستقلال على طريق النضال الطويل والشامل، للتحرر من مخلفات الماضي وبناء الوطن القوي المنيع، ومقاوما الخطر الصهيوني المتفاقم •

ومنذ قيامها تصدت ثورة آذار لهذه المهمات الوطنية والقومية، منطلقة من مبادىء البعث العربي الاشتراكي، فكافحت الفكر الرجعي بالفكر التقدمي، وكافحت الفكر التقسيمي بالفكر الوحدوي، مدعمة ذلك كله بنشاط ميداني عملي لاينقطع • وتصدت للخطر الصهيوني بالاعداد المستمر لما تقتضيه مجابهة هذا الخطر، وفي اطار ذلك كله أرست أسس التنمية والبناء، وأقامت على هذه الاسس صرحا شامخا من المنجزات الكبرى •

لقد بذلنا خلال السنوات الست والعشرين الماضية جهودا ضخمة للقيام بهذه المهمات، وسرنا أشواطا عديدة نحو تحقيق اهدافنا، فنفذنا العديد من خطط التنمية، ورسخنا الى حد بعيد قواعد المجتمع الاشتراكي، وثابرنا على النضال الوحدوي، وخضنا بشرف وشجاعة معارك الدفاع عن الوطن وحقوق الامة في مقاومة العدوان الاسرائيلي ٠

ارتفاع معدلات الانتاج والخدمات

وما أنجزناه منذ بداية الثورة يعد مفخرة بكل المقاييس. من حيث وفرة الكوادر العلمية والفنية والنمو الاقتصادي والرقي الاجتماعي وارتفاع معدلات الانتاج والخدمات. وهذه الحقيقة ماثلة في كل جوانب الحياة : في التعليم ومؤسساته من جامعات ومعاهد ومدارس، في الصحة ومستلزماتها من مستشفيات ومستوصفات ورعاية صحية، في المصانع وتوسعها، في الثروات الطبيعية واستثمارها، في الزراعة والعناية الفائقة بها بفرعيها النباتي والحيواني، في الطرق والسكك الحديدية وتوسيع شبكاتها، في الكهرباء والمياه وايصالهما الى مختلف المناطق الريفية، في بناء المؤسسات الدستورية وتعزيز دور المنظمات الشعبية ٠ ومن بواكير منجزات شعبنا قيام الجبهة الوطنية التقدمية التي ضمت الاحزاب الستة الموجودة على أرض الوطن والتي ينتظم في صفوفها مئات الالوف من المناضلين من أبناء هذا الوطن ٠ ولابد من القول ان الجبهة الوطنية التقدمية انجاز رائد وتجربة لم يعرفها سابقا تاريخ قطرنا ووطننا العربي، ولم تعرفها بلدان العالم الثالث، وهي متميزة بالنسبة لجميع التجارب الشعبية والحزبية في بلدان العالم الاخرى ٠

ان هذه الانجازات التي اقترنت بالمواقف القومية والتضحيات التي قدمناها من أجل قضايا الامة العربية، قد عززت مكانة سورية وجعلت كلمتها مسموعة وأعطت رأيها وزنا يستحقه على الصعيد الاقليمي والدولي، لانه يعبر عن الموقف المبدئي وعن اصالة الامة وحقوقها ٠

اقتصادنا متين الاساس

وطبيعي ان نواجه صعوبات في مسيرتنا، وقد تحدثت عن بعضها سابقا، ولكننا سرنا خطوات كبرى وهامة في تذليل هذه الصعوبات ٠

ولا ريب في ان اوضاعنا اليوم أفضل كثيرا مما كانت عندما تحدثت عن مصاعبنا الاقتصادية ونتوقع ان تكون افضل مما هي الآن خلال زمن نأمل الا يكون طويلا، فاقتصادنا متين الاساس، وامكاناتنا جيدة ومواردنا ننميها باستمرار ٠ وهذا يتطلب منا أن نعمل كثيرا وان نرفع وتيرة العمل وننمي حس المسؤولية الجماعية، مدركين جميعا ان مايصيب الوطن من أذى يصيب كل فرد منا، لايسلم منه رجل او امرأة شيخ او شاب أو طفل، وان كل نجاح يحققه الوطن يعم الجميع. وعلى كل حال تجدر الاشارة الى ان الاجراءات التي اتخذتها الحكومة خلال العامين الماضيين كانت اجراءات مناسبة وساعدت على تحسين الوضع الاقتصادي ورغم ان المصاعب لم تزل بعد فان الحكومة والحزب والجبهة الوطنية يناقشون ويبحثون عن مصادر تمكنهم من تحسين دخل العاملين في الدولة ضمن المستطاع. انطلاقا من شعور الجميع بالحاجة الى ذلك ٠ ومن المتوقع الوصول الى القرار خلال الفترة القصيرة القادمة ٠

ان لدينا في المجال السياسي والتنظيمي والاداري، كما في المجال الاقتصادي انجازات نفاخر بها، ولكن علينا دائما ان نسعى الى المزيد والى الافضل ٠

تعزيز الوحدة الوطنية

يجب ان ندأب على تعزيز وحدتنا الوطنية مستلهمين في ذلك رغبات شعبنا وامانيه وتطلعاته ٠ فبالوحدة الوطنية ننشر روح التعاون بين جميع المواطنين ، ونوفر مناخ المبادرة والابداع، ونضع الاساس المتين بالاعتماد على الذات، فنبني جميعا الوطن القوي القادر على الدفاع عن نفسه وتحقيق الحرية والرفاه لجميع ابنائه ٠

لايزال امامنا عمل كثير يتطلبه بناء الوطن وزيادة الانتاج وتطويره، وتعزيز صمودنا وقدرتنا على ازالة العدوان والاحتلال، وفي كل ذلك نعتمد على طاقات شعبنا وأمتنا ونعول على دعم اصدقائنا وتفهم الرأي العام العالمي لقضايانا. ولكن يبقى أساس موقفنا ايماننا نحن بهذه القضايا واستعدادنا للدفاع عنها واعتصامنا بمبادئنا وقيمنا .

ان استقراء صفحات التاريخ الحديث يبين لنا ان دول الاستعمار دأبت على خلق المشاكل لنا في تتابع يقصد منه الانهاك والاستنزاف وان تأتي المشكلة الجديدة لتشغلنا وتنسينا ماقبلها، ليتم قضم اجزاء من الوطن العربي جزءا بعد جزء . وقد كان هم اعداء امتنا ان ننسى تاريخنا ولاسيما صفحاته المضيئة وان ننسى انتصاراتنا التي حققناها بنضالنا، لنصاب بالاحباط الذي يقعد الهمة ويوهن العزيمة ويكبح حركة النضال، فنعيش ليومنا، ونغمض اعيننا عن مستقبلنا فيسهل على اعدائنا انتزاع التنازلات العربية وطمس الحقوق العربية والتهام الارض العربية . ومن هنا نشدد على الاعتصام بالمبادىء والقيم، والتشبث بها لانها تقينا الزلل، وتوفر لنا المناعة ضد السقوط في مزالق الاوهام المدمرة، وتمنحنا القدرة على محاكمة الامور محاكمة صحيحة صائبة، بحيث لاتخدعنا ظواهر الاشياء فتعمينا عن رؤية بواطنها، نتلهى بالقشور ونهمل اللب .

السلام العادل يعني نهاية العدوان

ان الصراع العربي ـ الاسرائيلي، همنا الاكبر، وطبيعي ان يستحوذ على جل اهتمامنا، لانه صراع مصير ووجود، وبسبب خطورته وأثره على السلام العالمي، فان العالم كله يولي هذا الصراع اهتمامه .

وعندما نؤكد أننا نريد حلا لهذا الصراع يحقق السلام العادل في منطقتنا فنحن جادون، لأن السلام العادل يعني نهاية العدوان والاحتلال، ويعني عودة الارض العربية والحقوق العربية الى أصحابها . ولكن اسرائيل متشبثة بالارض ومصرة على

انكار الحقوق .

واذا كنا نرحب بكل مسعى في سبيل تحقيق السلام العادل، فاننا لانخدع انفسنا ونحن نسمع كل يوم مايقوله زعماء اسرائيل، ونرى ماتفعله اسرائيل مما يؤكد انها لاتريد السلام، بل هي عدوة السلام العادل، لانها لاترى فيه مصلحتها .

اسرائيل اغتصبت فلسطين وتريد ان تحتل أوسع اجزاء من الوطن العربي ليتم لها تحقيق هدف اسرائيل الكبرى ، الممتدة من النيل الى الفرات . ان هذه حقيقة يجب ان تبقى ماثلة في أذهاننا، دون ان تنسينا اياها بعض ادعاءات اسرائيل الكاذبة عن الرغبة في السلام . وعندما تجامل اسرائيل لتضليل الرأي العام العالمي ، فانما تناور وفي ذهن زعمائها هدف اسرائيل الكبرى ، الذي خططوا لتحقيقه أجلا أو عاجلا ، لأن هذا الهدف هو هدف عقائدي مقدس بالنسبة للصهيونية وما دام الامر عقيدة فالاسرائيليون يعملون ما يستطيعون لتحقيق عقيدتهم هذه ، في مدة تقصر او تطول حسب الظروف ، ولكنهم لايتنازلون عن عقيدتهم .

التسلح بالوعي والقوة

امام هذا الواقع يجب ان نتسلح بالوعي والتصميم والقوة . فنحن نواجه عدوا شرسا ومخادعا ، اذا تحدث حينا عن السلام فانما يضمر التوسع والعدوان ، واذ يطرح مواصفاته وشروطه للسلام فانما يريد ان يجعل منها فخا للاستسلام ، بل ان حكام اسرائيل الأن لايبالون حتى بالحديث المموه عن السلام ، ولايخفون اصرارهم على استمرار الاحتلال .

ولكن هذا الواقع لايعني ان نجمد تحركنا السياسي ، اننا نواصل نضالنا وتحركنا على أساس فهم الامور فهما صحيحا .

نحن لانغفل الرأي العام العالمي ، ولانقلل من شأنه ، ولكننا نربأ بأنفسنا ان نذهب في سبيل كسب تأييده الى حد التنازل عن حقوقنا . وما فائدة ان يطلب الانسان الى الغير دعم حقوقه المشروعة اذا كان هو ذاته يتنازل عنها .

بطبيعة الحال اسرائيل اقدر منا على تضليل واستغفال الرأي العام العالمي . اقول هذا بمناسبة ما قلته عن الرأي العام العالمي .

الميثاق الوطني الفلسطيني

ها هي اسرائيل اقنعت اوسع قطاعات الرأي العام العالمي بضرورة ان يتخلى الشعب الفلسطيني وتتخلى منظمة التحرير الفلسطينية عن الميثاق الوطني الفلسطيني ، فاستطاعوا ان يقنعوا أوسع قطاعات الرأي العام العالمي ان الشعب الفلسطيني والعرب جميعا يهدفون الى رمي اليهود في البحر كما يقولون وان هذا ما جسده الميثاق الوطني الفلسطيني الذي يفترض ان تعمل بموجبه منظمة التحرير الفلسطينية . ولكننا نحن العرب لم نقل حتى الآن كلمة واحدة عن ميثاق الحركة الصهيونية ، ولم نقل ذلك للرأي العام . ربما قال بعضنا ضمن غرف مغلقة ، ربما قلنا ضمن غرف مغلقة في احاديثنا المتبادلة مع بعض المسؤولين في العالم دون ان نستطيع اقناعهم ، لكن لم تبرز كلماتنا واقوالنا الى ساحة الرأي العام العالمي . طالبوا الفلسطينيين بتعديل ميثاقهم ، وما اذكره ان هذا الميثاق يعمل على تحرير وتوحيد فلسطين ، لا اذكر انه يقول برمي يهود فلسطين في البحر ، بل يسعى الى وحدة فلسطين بكل من فيها ، هذا هو نص الميثاق كما اذكره ، وهذه هي روح الميثاق ، وانا منذ سنوات طويلة لم اطلع على الميثاق ولم اقرأ الميثاق .

ولذلك أقول « ما اذكر » .

اما الصهيونية فهي تستند الى ميثاق لايقبل المناقشة أشرت اليه في لقاءاتي معكم سابقا . هي تستند الى حكم الهي ، هي تقول ان الله اعطى اسرائيل ارض العرب الممتدة بين النيل والفرات وان الرب وضع هذه الارض بكاملها أمانة في اعناق الاسرائيليين وعليهم ان يحافظوا على هذه الامانة وبطبيعة الحال لكي يحافظوا عليها يجب ان يستردوها من ايدينا اولا ، ولكي يستردوها وبما انها ارضهم فنحن غرباء في هذه الارض

ويجب ان نطرد من هذه الارض ، وفي هذا الاطار كان الطرد الاول لقطاع واسع من شعبنا العربي الفلسطيني .

الميثاق الوطني الفلسطيني وضعه بشر ، وضعه مجلس وطني فلسطيني ، بطبيعة الحال يمكن في اي وقت ان يجتمع مجلس يمثل الشعب العربي الفلسطيني ويعدل بالشكل الذي يريد ما يشاء من بنود هذا الميثاق .

وها نحن نرى ببساطة ان هناك افرادا من خلال تصريحاتهم عدلوا بشكل عملي هذا الميثاق . وفي واقع الحال المؤسسات الرسمية الفلسطينية لم تعد تعمل بموجب هذا الميثاق ، ولم يعد بالنسبة للكثيرين سوى وثيقة من الوثائق التاريخية ، هي للحفظ وليست للعمل بالنسبة لهم .

هذا الميثاق يمكن لمؤتمر ، او لمجلس وطني فلسطيني ان يجتمع ويعدل فيه ما يشاء ، ولكن من يستطيع ان يعدل الميثاق الصهيوني الذي ترتكز الحركة الصهيونية ومؤيدوها في العام اليه في عملهم لاقامة دولة اسرائيل ؟

في عام ١٩٨٢ كان رئيس وزراء اسرائيل الحالي اسحق شامير وزيرا للخارجية وكان في زيارة لفرنسا ، وخلال اجابته على صحفي سأله عن حدود اسرائيل في الدستور الاسرائيلي ، فقد سأله الصحفي لماذا لم تحددوا حدود اسرائيل في دستوركم ؟ فقال شامير ان حدود اسرائيل محددة منذ آلاف السنين !! هذا هو الميثاق ، انه الميثاق الذي عقده الرب مع بني اسرائيل فلماذا لا نطالب بتعديله وماذا سيجيبوننا لوقلنا لهم عدلوا ميثاقكم . اوسع القطاعات في الرأي العام شغلت ولفترة طويلة نسبيا من الزمن ، كان هم الجميع ان يتحدثوا عن ضرورة تعديل الميثاق الوطني الفلسطيني ولم يقل فرد واحد في دول العالم الاخرى لنا او للاسرائيليين شيئا عن ميثاق الرب الصهيوني . نحن لانأتي بشيء من عندنا ، ونحن في هذا لانريد ان نلج في المواضيع الدينية ابدا ، فالبنسبة لنا كل الاديان تنال الاحترام ، وبطبيعة الحال من ارضنا هنا ، من ارضنا العربية ، انطلقت الديانات

السماوية الثلاث وهذا موضع فخروموضوع قوة لنا نحن العرب . ولكن عندما نتحدث عن الوعد ونعرف ان عدونا هذا يعتبر هذا الوعد عقيدة ولا مجال لمناقشته من قريب او بعيد ، عندما تصبح هذه الفكرة تغزو ارضنا وحقوقنا ومصيرنا ، في هذه الحالة نحن معنيون بهذا الجزء بالذات ، وبطبيعة الحال لايمكن لي ابدا ولا يمكن لأي انسان عاقل ان يعتقد ان الله قال لمجموعة من الناس ، لشعب ، لأي شعب ، سأعطيكم اراض من هنا الى هناك وسأطرد من امامكم هذه الشعوب ، « ونحن نتصور ان الله قوة عدل مطلقة تسيّر هذا الوجود ، هي لنا جميعا ونحن لها جميعا ، خلقتنا جميعا ، نحن لها جميعا فكيف يمكن ان تأتي بنا الى هذا الوجود فقط لتطردنا من مكان الى آخر ولتكون مجموعة منا ، شعب من مئات شعوب العالم ، هي المجموعة المفضلة او الشعب المفضل الى الله .

أنا كفرد اكبر الله ان يكون من ذلك في شيء . ان الله للجميع ، ومرة اخرى اقول الله خلق الجميع ولو اراد ان يعطي الاسرائيليين ارضنا من النيل الى الفرات لاعطاهم الارض منذ البداية ولما وضعنا نحن في هذه الارض ، وكان بمقدوره ان يضعنا في ارض اخرى لتبقى هذه الارض شاغرة لهم يأتون اليها متى شاؤوا .

ها أنا اطرح الآن هذا الموضوع واقول : ان هذا هو ميثاق اسرائيل ،

وليس سرا انه كان مكتوبا في وقت من الاوقات على الكنيست الاسرائيلي — ولست ادري اذا كان لايزال مكتوبا — ما معناه « ارضك يا اسرائيل من الفرات الى النيل » .

ذكرت هذا الامر عندما قلت نحن لانغفل الرأي العام العالمي ولانقلل من شأنه ، ولكننا نربأ بانفسنا ان نذهب في سبيل كسب تأييده الى حد التنازل عن حقوقنا . وما فائدة ان يطلب الانسان الى الغير دعم حقوقه المشروعة اذا كان هو ذاته يتنازل عنها .

ان من يتخلى من العرب عن المواقف المبدئية ويقدم التنازل تلو التنازل تحت شعار كسب الرأي العام واحراج العدو ، وكأنه مطالب بالجلوس لامتحان اثبات الرغبة في السلام ، ان من يفعل ذلك انما يجهل او يتجاهل ان اسرائيل هي التي يجب ان تقدم الدليل الحسي والملموس على نية السلام ، وهي عاجزة عن ذلك لانها لاتريد السلام .

نحن نقول بالسلام العادل المستند الى تنفيذ قرارات الامم المتحدة ذات العلاقة ، وعبر مؤتمر دولي تشترك فيه جميع الاطراف المعنية ومن ضمنها منظمة التحرير الفلسطينية ، بينما اسرائيل مستمرة في تصلبها مصرة على أن ما أخذته هو حقها المكتسب بالقوة ، ومن يريد ان يفاوض عليه ان يأتي اليها صاغرا لاقرار الامر الواقع .

التنازلات بعيدة عن تفكيرنا العقائدي

وعلى أي حال فإن خط التنازلات بعيد عن تفكيرنا العقائدي والسياسي لاسيما ان التاريخ العربي والتاريخ العالمي يؤكدان ان سياسة التنازلات ما كانت يوما في مصلحة الشعوب المغتصبة حقوقها ، بل كانت هذه السياسة شؤما على من أخذ بها ومارسها . وهل تحوجنا الامثلة وأقربها زمنا يقيم الدليل على عقم سياسة التنازلات . فاسرائيل بعد صلحها مع مصر زادت قوتها واصبحت اقوى مما كانت قبله ، وأشرس وأشد تعنتاً ، وبعد صلحها مع مصر غزت لبنان ونكلت ولاتزال تنكل بالشعب العربي الفلسطيني ، وهي تتحدى العالم في رفضها السلام عبر المؤتمر الدولي . ولا بأس في ان يتذكر الواهمون ان الصراع العربي — الاسرائيلي اعقد كثيرا من ان يستطيعوا حله عبر طريقهم مهما طالت هذه الطريق ، والبرهان على ذلك انه لم يحل بأسلوب ما فعله السادات . انه لم يحل باسلوب السادات لأن سورية قالت « لا » ولن يحل باسلوب الاخرين الاستسلامي لان سورية ستقول « لا » ايضا .

ان اسرائيل اقامت سياستها وبنت مواقفها على قوة السلاح ،

واستخدمت القوة في تحقيق اهدافها ، واسرائيل هذه التي مارست ارهاب الدولة على اوسع نطاق ، وارتكبت اعمال القتل والتدمير حيثما استطاعت ان تصل قواتها المسلحة ، لاتبحث عن السلام ، بل تبحث عمن يمكن ان يشكلوا لها جسرا مناسبا لقفزة توسعية هيمنية في حالة خدر العالم واسترخاء الجماهير العربية ، بفعل ان سلاما قد تحقق ، ولهذا لن تجر سورية الى هذا الفخ ، وبذلك ستبقى القضية العربية متقدة ولو جر الاخرون ووقعوا في المصيدة .

ان اسرائيل لاتتحمل ان يرتفع صوت العربي في أرضه المحتلة ليقول « لا » للاحتلال ، وتقابل الحجر في يد الفتى الفلسطيني والفتاة الفلسطينية بالرصاص والغاز القاتل والدبابة وبهدم البيوت وقلع الاشجار وحرق المزروعات ومصادرة الارض . فكيف ننتظر منها ان تتراجع عن أرض احتلتها وتدعي انها حق توراتي لها ، دون ان تكون مكرهة على التراجع .

سورية مع المقاومة

في كل يوم في فلسطين المحتلة شهداء وجرحى ومعتقلون وسجناء . ان ابطال انتفاضة الشعب العربي الفلسطيني الذين يتصدون لجيش اسرائيل بابسط وسائل المقاومة ، انما يستحقون من امتهم ومن العالم باسرة الدعم والتأييد .

ونحن نجدد التأكيد لكم ايها الاخوة في فلسطين المحتلة انما معكم على طريق النضال والشهادة ، على طريق التمسك بالحقوق ورفض التفريط بها ، طريق رفض الاستسلام ورفض تصفية القضية .

نحن معكم على طريق النضال حتى النصر الذي لابد ان نحققه بقوتنا وجهود امتنا ، معكم مثلما نحن مع اصدقائنا ابطال المقاومة في جنوب لبنان المحتل الذين عاهدوا الله فصدقوا ، ومنهم شهداء ابرار خالدون .

وها هم اخوتكم في الجولان السورية الذين يقف العدو بكل شراسة في مواجهة ابسط حركة يقومون بها حتى ولو كانت حركة احتفالية بمناسبة وطنية عزيزة على قلوبهم .

انه يمنع كل صحفيي العالم واعلامييه منعا باتا من دخول منطقة الجولان في أية مناسبة يريد المواطنون السوريون هناك ان يعبروا فيها عن رغبتهم ، ويسارع الى استخدام القوة ، وهذا لايدل على شجاعة العدو ولا على قوته ولا على تطلعه الى السلام الذي تبحث عنه شعوب العالم .

ولكن ليس لدينا ولا لدى ابنائنا في الجولان قلق مستقبلي ، فلا احد ينقطع عن جذوره ، ولا تيبس شجرة جذورها قوية تمتد في ارض خصبة كثيرة المياه .

ايها الاخوة في فلسطين وجنوب لبنان ، ايها الاخوة السوريون في الجولان ، مهم ان نملك دائما الرؤية الواضحة والنفس الطويلة ، وليكن بعد ذلك الطريق طويلا وشائكا ليس امامنا فقط ، بل امام العدو بقدر اكبر ، والقارىء الجيد يدرك ان الشوط النهائي لنا وليس لهم . لان الحق هناك هو الاقوى ، ولاننا هناك نحن الاقوى ، ولأن الامة العربية هناك هي الاقوى .

ان من يقاوم العدوان والاحتلال الاسرائيلي في اية بقعة من الارض العربية انما يدافع عن الامة ، ويمارس حقا اقرته كل الشرائع لمن يتعرض وطنه للعدوان والاحتلال ، ويؤدي واجبا تفرضه الاخلاق القومية ، ويناضل في سبيل سلام عادل . ونحن ثابتون في دعمنا لهذا الحق وممارستنا اياه وادائنا هذا الواجب القومي .

الوحدة العربية

ايتها الرفيقات ،

ايها السادة ،

ان سبيل العرب الى سلامهم هو ان يكونوا اقوياء موحدين في

الموقف والعمل • ومن المؤسف ان الواقع العربي الآن يذكرنا بما آلت اليه حال العرب في الاندلس عندما تناحروا وتقاتلوا واستعان بعضهم على بعض بعدوهم فتهاوت ممالكهم واحدة اثر اخرى ، دالت دولتهم التي كانت في عصرها مركز العلم والمعرفة ومصدر الاشعاع للعالم كافة •

ليست القوة مدفعا ودبابة وطائرة وصاروخا فقط ، ان عناصر القوة بالنسبة للامة العربية عديدة ، وأهمها الوحدة • ان تحقيق الوحدة العربية هو تحقيق الذات ، تحقيق الهوية ، بها نقوى ومن دونها يبقى العرب ضعافا في مواجهة الاعداء •

والوحدة ليست مسألة عابرة ، ولا عملا تكتيكيا ، ولا مسألة موسمية •

ايماننا في سورية بالوحدة العربية ايمان عميق لاتزعزعه نكسه • ونظرتنا الى الوحدة العربية انها ضرورة حياتية • ونحن لانأتي هنا بشيء جديد ، ولكنها قوانين الحياة التي لم تخلقها الامم انما انتظمت بموجبها الامم • وحدة الامة ليست نظرية ، او اجتهادا جاءت به الامة ، بل هي قانون طبيعي وجدته الامم امامها ، أحست به عفوا ورسخته عقلا ، واصبح على امتداد الحياة الانسانية الناظم البديهي للعلاقات بين ابناء الامة ، وان عملت ظروف شاذة طارئة عكس اتجاهه • ومن هنا لانجد امة في العالم جزئت الا وناضلت او تناضل من اجل تطبيع ذاتها بتحقيق وحدتها • والمطلوب منا كأمة عربية ان نطبع ذاتنا بتحقيق وحدتنا ، وما دمنا في وضع مجزأ غير طبيعي فستظل مشاكلنا تتكاثر ، شأننا شأن المريض الذي يظل يعاني آلام المرض ما دام لم يتخلص منه •

واذا كانت وحدة الامة قانونا طبيعيا في مختلف الظروف فكيف عندما تمر الامة بظروف صعبة وخطيرة ومصيرية ، كيف تكون استجابتنا لهذا القانون ؟ وكيف يكون موقفنا تحت الحاح هذه الظروف ؟ الفرد عندما يدافع عن نفسه ضد خطر يتهدده

يستنفر كامل طاقاته المادية والمعنوية ، والامة عندما تتعرض لخطر يهددها تستنفر كامل طاقاتها للدفاع عن نفسها ، فعلينا نحن ان نستنفر طاقتنا في مجابهة خطر ماحق يتهدد الامة العربية ، واكبر وأهم هذه الطاقات هي الوحدة • فهل استنفرناها ، واستنفرنا انفسنا لتحقيقها ؟ لم نفعل ، واخشى ان نكون فعلنا عكس ذلك فزدنا الخطر خطرا وزدنا مصيرنا تهديدا •

امام معطيات الحياة الحاضرة شعرت بعض الامم انها ليست قادرة ان تدافع عن نفسها امة رغم ما بلغته منفردة من تقدم وازدهار ، وبدأت تبحث وتعمل على الوحدة فيما بينها• انها أمم اوروبا الغربية ، أمم متقدمة حضاريا وبعضها امم كبيرة ، لغاتها مختلفة ، اصولها مختلفة ، تاريخها مختلف ، صفحات عداء ، وحروب ودماء رسموا فيما بينهم خطط التوحيد رغم ما بينهم في هذه الفترة من خلافات وتضارب المصالح ، وساروا اشواطا بعيدة ويعملون على ان يحققوا ، وفي زمن ليس ببعيد ، الكيان الاوروبي السياسي الموحد ، وقد اقاموا من اجل ذلك حتى الآن كثيرا من المؤسسات •

فأين نحن من هذه القفزة العملاقة ، وأين نحن من هذه الرؤية الثاقبة التي تنفذ الى اعمال المستقبل كما يتصورونه •

أين نحن ونحن الامة الواحدة واللغة الواحدة والتاريخ الواحد والمصير الواحد ، كل ما لدينا يجمع ولايفرق ، وكل ما لديها من تاريخ ولغات وعداوات وحروب طاحنة لايجمع بل يفرق ، تجاوزوا كل هذا لكي يواجهوا ما يأتي به المستقبل بقوة ونجاح ، ولكي يضمنوا لشعوبهم كرامتها وما تتطلع اليه •

فعلوا كل هذا رغم انه لايبدو في الافق المنظور ما يهددهم ونحن نفعل عكس هذا رغم ما نراه يهددنا في القريب والبعيد • فعلينا جميعا ان نتأمل ، وعلى القيادات ان ترتفع فوق الزوايا الضيقة وان ترى الى أبعد من القريب ، وان لاتتحول مشاعر الأنا المحدودة دون رؤية افاق المستقبل الرحيب ومصالح جماهيرنا

واجيالنا القادمة . لندع الصغائر ان كنا من القادة . ولنمسك بالكبائر من امورنا نعالجها بعقل وعلم ومعرفة .

لا اريد من كلامي هذا وليس في ذهني ان اطرح مبادرة محددة ، بل اردت ان اثير بكلمات قومية واذكر بأمنية قومية طالما عزت على قلوبنا وقلوب اجيالنا السابقة . وسوف تعز على قلوب الاجيال اللاحقة .

انا لا اتطلع الى المستحيل او المعجز . بل الى الممكن المتصاعد ، وعندما تتوفر القناعة ويتوفر الاخلاص فلن تكون مشكلة القوالب والاساليب مشكلة عسيرة الحل . المهم عمل قومي يتطلع الى الوحدة وينحو نحوها .

سنبقى الى جانب لبنان

ايتها الرفيقات .

ايتها السيدات ايها السادة .

معاناة لبنان الشقيق معاناتنا . ما يؤلمه يؤلمنا . لان ما يجمع بيننا كثير وكثير جدا . وهذه الاواصر الاخوية الجامعة هي مبعث اهتمامنا بما يجري في لبنان .

وانطلاقا منها بذلنا ما بذلنا من جهود . ومن تضحيات لمساعدة شعب لبنان بكل فئاته ، وثابرنا في البحث عن حل جدي . ينهي عوامل التفرقة ويضع حدا نهائيا للاقتتال المتكرر بين مرحلة زمنية واخرى ، اندفعنا في هذا المسعى باخلاص غير متأثرين بما يقوله البعض في لبنان .

وفي جهودنا لمساعدة لبنان على مدى السنين الاخيرة ، لم تكن سورية تبحث عن مكاسب ضيقة ، بل كانت دوما ولاتزال تبحث عن مكاسب ذات بعد قومي . ومكاسب لها هذا البعد هي مكاسب للبنان وسورية وللامة العربية .

ويجب ان يكون مفهوما انه لو لم ننطلق من ارضية قومية ، لما كان لدينا الاستعداد لبذل ما بذلناه من جهود وتضحيات خلال سنوات عديدة من اجل لبنان .

وما كان باستطاعة اي بلد في العالم غير سورية ان يفعل ما فعلناه وان يضحي كما ضحينا ، لاننا الاقرب الى لبنان دما وتاريخا والاوثق صلة به ، ولايمكن لأحد ان يتجاهل التاريخ والجغرافيا في علاقات الاخوة بين البلدين .

ان الاصلاحات السياسية الجدية التي يجب ان يجري الحوار بشأنها هي الطريق الضامن لخروج لبنان مما هو فيه وبناء وطن مستقر مزدهر ينعم بتماسك ابنائه وتوادهم .

اننا نأمل ان يفهم الجميع حرصنا وان يتخلص المتوهمون من اوهامهم لان هذا يقصر طريق الآلام في لبنان ويوصل الى السلام والاستقرار باسرع ما يمكن .

انني اوكد ما اكدته في الماضي ، ان سورية ستبقى الى جانب لبنان في مختلف الظروف والاحوال ، ولايمكن ان نتخلى عن اخوتنا ، لاننا شعب واحد دما ولحما وعظما ، لن نتخلى عن شعب لبنان الشقيق البطل ، لاننا شعب واحد وتاريخنا المنفصل منه عززناه معا ، بنضال مشترك ، بقتال مشترك ، بدماء عزيزة نزفناها معا في مواجهة العدو . فسنظل معا وسنظل الشعب الواحد ونأمل من كل اخ وصديق ومن كل شقيق ان يفهم هذا الامر ، ولاتهمنا بعد ذلك الاشكال التي يهتم بها الاخرون . نحن الان دولتان ومامنعنا هذا ان نظل شعبا واحدا ، وما منعنا هذا ان نقاتل معا وان نموت معا ونحيا معا .

لبنان جزء لايتجزأ من الامة العربية

فلا احد يتألم على ما جرى ويجري في لبنان كما يتألم شعبهم في سورية ، ولا احد يحرص على ان يخرج لبنان مما هو فيه كما يحرص شعب سورية ، ولا احد قادر على ان يضحي من اجل لبنان ومن اجل شعب لبنان كما يضحي شعب سورية .

وان عامل التضحية هنا لدى شعب سورية هو العاطفة والعقل والتاريخ والاخلاق والوفاء والجوار والجغرافيا . كل ما فينا وكل ما نملك يمكننا ويدفعنا الى التضحية من اجل اهلنا في لبنان .

فليفرق المتوهمون في لبنان بين طمعنا في حب شعبنا في لبنان وطمعنا في ما يسمونه « سيادة او ارض » او ما شابه ذلك . فهذه لهم ، ولن تشكل مشكلة بيننا وبين احد ، وهم يعرفون حقيقة الامر ، والامر لايتعلق بما يقال في الظاهر ، ان الامر في حقيقته يتعلق بالانتماء القومي للبنان ، ومن البديهي ان سورية لن تكون مع لبنان غير عربي على الاطلاق .

وعندما وافقت سورية في ظل الاستعمار الفرنسي ، وعندما وافق المسؤولون او بعضهم آنذاك في ظل الاستعمار الفرنسي على ان يكون لبنان . وافقوا على اساس ان لبنان جزء لايتجزأ من الامة العربية وليس كما يقول بعضهم ، في محاولة مكشوفة وعلى سبيل المناورة ان لبنان جزء من محيطه العربي . اسرائيل الآن في واقعها الحالي جزء من المحيط العربي . هذا تعبير جغرافي ، هذه ليست ارادة سياسية ، ليست انتماء دم وتاريخ . لبنان ليس جزءا من محيطه العربي فقط ، المحيط تعبير جغرافي ولايهمنا في شيء لو قيل ان سورية جزء من محيطها العربي ، فلا يصح هذا القول لان محيط سورية ليس عربيا بالكامل ، نحن نقول شعب لبنان جزء من امته العربية ، وجزء لايتجزأ من امته العربية . وفي ضوء تجربتنا خلال هذه السنين التي هي طويلة نسبيا لاتظنوا ان الذين يقولون بلا عروبة لبنان هم كثرة في لبنان . ابدا ، انهم قلة قليلة جدا ولا اريد الآن ان افصل ، فالاكثرية الساحقة جدا من اللبنانيين ، شأننا شأنهم ، مؤمنون بعروبتهم لايساومون على هذه القضية بشكل من الاشكال ، وهم من مختلف الجهات والشرائح الاجتماعية . ولكن هناك قلة قليلة – كما قلت – تحاول ان تناور في هذا الامر . ما الذي دفعنانحن في سورية كي نرسل ابناءنا الى لبنان ليقاتلوا الى جانب المقاتلين في لبنان لو لم ننطلق بقناعة من اننا ابناء امة واحدة . ان هذا الامر يجب ان يكون محسوما ويجب ان يدرك الجميع اينما كانوا ان القضية بالنسبة لنا قضية مقدسة لاتقبل الجدل ولاتقبل المناقشة ، بالاحرى لاتقبل المساومة ، فمن ارادها

فهو منا ومن رفضها فهو من اعدائنا .

الانفراج الدولي

الرفيقات عضوات المؤتمر ،

السيدات والسادة الحضور ،

يعيش العالم حاليا مرحلة تحولات في مناخ العلاقات الدولية . مرحلة توحي بالتوجه نحو الوفاق الدولي . وبناء العلاقات الدولية على اساس التفاهم بدلا من المجابهة والتصادم . وقد بدأت هذه المرحلة بمبادرات سلمية من الاتحاد السوفييتي بدافع الحرص على ابعاد شبح الكارثة النووية عن العالم . والحد من هدر الاموال على سباق التسلح بينما يتضور ملايين الناس جوعا في مناطق عديدة من العالم . وتمس الحاجة الى انقاذ شعوب كثيرة من البؤس عبر مشاريع تنمية تلبي احتياجاتها الضرورية .

وتأتي هذه المرحلة ونحن على مشارف القرن الحادي والعشرين ، مع ما يحمله القرن الجديد من تحديات ناشئة عن تغيرات في جوانب الحياة كافة .

ان سورية تدعم هذا التوجه نحو الانفراج الدولي لانه في صالحنا وصالح البشرية جمعاء . كما تؤكد سورية اهمية نزع السلاح النووي وابعاد اي احتمال لخطر كارثة نووية .

ان علاقتنا مع الاتحاد السوفييتي تستند الى الاحترام المتبادل والمنفعة المتبادلة ، وتقوم على اساس متين من الصداقة والتعاون ، وقد اكدت التجارب قوتها ومتانتها . كما ان علاقات صداقة قوية تقوم بيننا وبين بقية البلدان الاشتراكية .

ونحن ننشد افضل العلاقات مع كل دولة تبادلنا هذه الرغبة على اساس الاحترام المتبادل والمنفعة المتبادلة .

ولاشك في ان العالم يواجه مشكلات ضخمة تتطلب التعاون بين الدول جميعها ، وهذا من ضمن ما يهدف اليه توجه الوفاق

الدولي . وفي رأس هذه المشكلات الحفاظ على حقوق الشعوب وازالة عوامل العدوان ، ونزع السلاح ، وخاصة السلاح النووي ، واقامة علاقات اقتصادية صحية بين الدول ، وحل مشكلة ديون بلدان العالم الثالث المزمنة والمتفاقمة ، وانقاذ البيئة من التلوث .

ان النجاح في حل هذه المشكلات هو نجاح للبشرية كلها ، وتحقيقه يبشر بعالم جديد قائم على اسس سليمة .

ومع حرصنا على ان نسهم في خلق هذا العالم الجديد ، نتابع بناء وطننا والدفاع عن مصالح امتنا وحقوقها ، لتكون أقدر على المشاركة في بناء صرح الحضارة البشرية ، وان لنا من ماضينا وتراثنا ، ومن امكاناتنا الحالية ما يساعدنا على القيام بهذا الاسهام .

فلنكمل في سورية ما بدأنا من أعمال كبيرة ، ولنتابع طريق انجازاتنا ، مسلحين بوحدة وطنية عزيزة ، وروح وطنية عالية ، واستعداد للبذل والعطاء .

اتمنى للمؤتمر الخامس للاتحاد العام النسائي النجاح في اعماله ، والتوفيق في دعم مسيرة المرأة العربية على طريق التقدم ، وليتعزز دور الاتحاد العام النسائي في قيادة نضال المرأة قطريا وفي دعم نضال المرأة عالميا .

ليعش شعب سورية ، وليعش شعب لبنان المقاتل ، وشعب فلسطين المقاتل .

والسلام عليكم ورحمة الله

صفحات من تاريخ الحزب

دورات مجلس الحزب

١٩٤٧ ـ ١٩٥٧

الحلقة الأولى

الرفيق : جورج صدقني

مقدمة

من المعروف بوجه عام لدى الكافة ان **المؤتمر القومي** هو اعلى سلطة في حزب البعث العربي الاشتراكي على مستوى الوطن العربي ككل ، كما ان **المؤتمر القطري** هو اعلى سلطة في الحزب على مستوى كل قطر على حدة . والمؤتمران كلاهما ـ القومي والقطري ـ من ابرز مظاهر **الديمقراطية المركزية في الحزب** ، لانهما ـ بغض النظر عن الاختلافات التفصيلية الصغيرة في نصوص الانظمة الداخلية المتعاقبة ـ يمثلان القواعد الحزبية ، التي تمارس حق انتخاب ممثليها في مؤتمراتها بحرية ، فتكون هذه المؤتمرات بمثابة مجالس تشريعية من جهة ، وتكون ـ من جهة ثانية ـ هيئة انتخابية تنتخب القيادات التنفيذية ، وتراقب مدى تطبيقها لمقررات المؤتمر وتوصياته .

وبعد قيام **ثورة آذار ١٩٦٣** انتقل حزب البعث العربي الاشتراكي في القطر العربي السوري من مرحلة النضال السلبي ـ سواء اكان هذا النضال سريا او كان معارضة علنية ـ الى استلام

الحكم وممارسة السلطة . ولم يغير هذا الانتقال الجذري شيئا من نهج الحزب في الديمقراطية المركزية ، وفي انتخاب المؤتمرات وانعقادها ـ على الصعيدين القومي والقطري ـ لرسم معالم الطريق امام الحزب في نضاله من اجل اهدافه القومية الكبرى . وقد بلغ عدد الدورات التي عقدتها المؤتمرات القطرية السورية ، منذ قيام ثورة الثامن من آذار عام ١٩٦٣ وحتى الآن **اربع عشرة دورة بين عادية واستثنائية** ، وهي مبينة في الجدول رقم /١/ .

اما المؤتمرات القومية التي عقدها الحزب منذ تأسيسه رسميا عام ١٩٤٧ وحتى الآن فقد بلغ عدد دوراتها **خمس عشرة دورة** ، على نحو ما هو مبين في الجدول رقم /٢/ .

وتكفي نظرة سريعة تقابل بهاتين هذين الجدولين ، حتى يتبين لنا ان المؤتمرات القومية الخمسة الاولى قد عقدت قبل قيام ثورة الثامن من آذار ، وان اول مؤتمر قومي بعد قيام هذه الثورة هو (السادس) في الترتيب . اما المؤتمرات القطرية السورية فكلها بلا استثناء ، وبدءا من المؤتمر القطري الاول حتى المؤتمر القطري الثامن ، بما في ذلك المؤتمرات القطرية الاستثنائية ، قد عقدت بعد قيام ثورة الثامن من آذار عام ١٩٦٣ .

فهل كان الحزب قبل الثورة يقتصر في مؤتمراته على المؤتمرات القومية ، دون القطرية ؟ وهل من المعقول الا يعقد هذا الحزب ـ الذي تأسس في القطر العربي السوري ، ومنه انتشر الى سائر الاقطار العربية ـ اي مؤتمر للقطر ، الذي هو مهده الاول ومنطلق نضاله القومي ونشاطه التنظيمي ومركز قيادته المكرس في دستور الحزب ، وذلك على طول الفترة الممتدة من نيسان ١٩٤٧ الى ايلول ١٩٦٣ ، اي على مدى ستة عشر عاما ونيف ؟

الواقع ان الحزب قد عقد في هذه الفترة السابقة على قيام الثورة ـ عدا عن المؤتمرات القومية الخمسة الاولى ـ مؤتمرات اخرى كثيرة ، بلغ عدد دوراتها **اثنتي عشرة دورة** . ولكن نصوص

الجدول رقم (١)

المؤتمرات القطرية السورية بعد ثورة الثامن من آذار عام ١٩٦٣

مسلسل	المؤتمر	تاريخ انعقاده	مكان الانعقاد
١	المؤتمر القطري الاول	٥ ايلول ١٩٦٣	جلسة الافتتاح في قصر الضيافة ، ثم في ثانوية امية بدمشق
٢	المؤتمر القطري الاول الاستثنائي	١ ـ ٦ شباط / ١٩٦٤	قصر الضيافة بدمشق
٣	المؤتمر القطري الثاني	١٨ آذار ـ ٣ نيسان ١٩٦٥	المسرح العسكري بدمشق
٤	المؤتمر القطري الثاني الاستثنائي (الدورة الاولى)	٨ ـ ١٤ آب ١٩٦٥	مجلس الشعب بدمشق
٥	المؤتمر القطري الثاني الاستثنائي (الدورة الثانية)	١٠ ـ ٢٧ آذار /١٩٦٦	مجلس الشعب بدمشق
٦	المؤتمر القطري الثالث	٢٠ ـ ٢٥ ايلول/١٩٦٦	المسرح العسكري بدمشق
٧	المؤتمر القطري الثالث الاستثنائي	٢٧ ـ ٣٠آب/١٩٦٧	مقر اللواء (٧٠) في الكسوة
٨	المؤتمر القطري الرابع	٢٦ ايلول ـ ٧ تشرين الاول/١٩٦٨	مدرسة الاعداد الحزبي في يعفور
٩	المؤتمر القطري الرابع الاستثنائي	٢١ ـ ٣١ آذار / ١٩٦٩	المسرح العسكري بدمشق
١٠	المؤتمر القطري الخامس	٨ ـ ١٤ أيار / ١٩٧١	المسرح العسكري بدمشق
١١	المؤتمر القطري الخامس الاستثنائي	٣٠ أيار ـ ١٢ حزيران ١٩٧٤	المسرح العسكري بدمشق
١٢	المؤتمر القطري السادس	٥ ـ ١٥ نيسان ١٩٧٥	المسرح العسكري بدمشق
١٣	المؤتمر القطري السابع	٢٢ كانون الاول ١٩٧٩ ـ ٦ كانون الثاني / ١٩٨٠	مدينة الفيحاء بدمشق
١٤	المؤتمر القطري الثامن	٥ ـ ٢٠ كانون الثاني /١٩٨٥	مدينة الفيحاء بدمشق

ملاحظتان : ١) تحدد الكراسة الصادرة عن اعمال المؤتمر القطري الاول انعقاده في النصف الاول من ايلول ١٩٦٣ . ويحدده مصدر آخر بالفترة من ٩ ـ ٢٤ ايلول ١٩٦٣ . اما المؤتمر القطري الثالث فيحدد احد المصادر اختتامه في ٣٠ ايلول .

٢) نرحب باي ترميم او اكمال او تصحيح موثق للمعلومات الواردة في هذا الجدول .

الجدول رقم (٢)

المؤتمرات القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي

مسلسل	المؤتمر	تاريخ انعقاده	مكان الانعقاد
١	المؤتمر القومي الاول (المؤتمر التأسيسي)	٤ ـ ٦ نيسان / ١٩٤٧	مقهى الرشيد الصيفي (اللونابارك) بدمشق
٢	المؤتمر القومي الثاني	حزيران / ١٩٥٤	مكتب الحزب (مقابل المستشفى الايطالي) بدمشق
٣	المؤتمر القومي الثالث	٢٧ اب ـ اول ايلول ١٩٥٩	بيروت
٤	المؤتمر القومي الرابع	اواخر اب / ١٩٦٠	بيروت
٥	المؤتمر القومي الخامس	اواسط ايار ١٩٦٢	حمص (منزل الصيدلاني خلوصي الاتاسي)
٦	المؤتمر القومي السادس	٥ ـ ٢٢ تشرين الاول ١٩٦٣	قصر الضيافة بدمشق
٧	المؤتمر القومي السابع	١٢ ـ ١٧ شباط ١٩٦٤	قصر الضيافة بدمشق
٨	المؤتمر القومي الثامن	نيسان / ١٩٦٥	قصر الضيافة بدمشق
٩	المؤتمر القومي التاسع	اواخر ايلول ـ ٤ تشرين الاول / ١٩٦٦	المسرح العسكري بدمشق
١٠	المؤتمر القومي التاسع الاستثنائي	اوائل ايلول / ١٩٦٧	مقر اللواء (٧٠) في الكسوة
١١	المؤتمر القومي العاشر	٨ تشرين الاول / ١٩٦٨	مدرسة الاعداد الحزبي في يعفور
١٢	المؤتمر القومي العاشر الاستثنائي	٣٠ تشرين الاول ـ ١٢ تشرين الثاني ١٩٧٠	القيادة القومية (البرامكة) بدمشق
١٣	المؤتمر القومي الحادي عشر	٢٣ اب / ١٩٧١	القيادة القومية (البرامكة) بدمشق
١٤	المؤتمر القومي الثاني عشر	اواخر تموز / ١٩٧٥	مدينة ابناء الشهداء بدمشق
١٥	المؤتمر القومي الثالث عشر	٢٧ تموز ـ ٢ اب ١٩٨٠	نادي الضباط الجديد بدمشق

ملاحظات : ١) سبق انعقاد المؤتمر القومي الثاني اجتماع سري في حمص في تشرين الاول عام ١٩٥٢ ، حضره قياديون بعثيون من غير السوريين . وفي هذا الاجتماع اتخذ القرار بعقده .

٢) يحدد احد المصادر انعقاد المؤتمر القومي السابع بالفترة من ١٢ ـ ٢٠ شباط ١٩٦٤ ، ويحدده جلال فاروق الشريف في احدى اطياته بالفترة من ١٤ ـ ١٧ شباط ١٩٦٤ .

٣) يحدد احد المصادر انعقاد المؤتمر القومي التاسع بالفترة من ٢٤ ـ ٢٩ ايلول ١٩٦٦ ، ويكتفي في مكان اخر بتحديده في النصف الثاني من ايلول ويحدده جدول اصدره مؤخرا مكتب الاعلام والنشر في الفترة ٢٥ ـ ٢٩ ايلول ١٩٦٦ .

٤) نرحب باي ترميم او اكمال او تصحيح موثق للمعلومات الواردة في هذا الجدول .

الانظمة الداخلية المتوالية في هذه المرحلة من تاريخ الحزب لم تكن تطلق على هذه المؤتمرات اسم « **مؤتمر** » وانما كانت تسميه في ذلك الحين « **مجلس الحزب** » .

وليس ثمة فرق اساسي بين « المجلس » و « المؤتمر » اللهم الا في الاسم ، فهما متماثلان في المضمون تماما : فالمجلس بحسب نصوص النظام الداخلي ينتخب انتخابا من قواعد الحزب ، وصلاحياته هي صلاحيات المؤتمر في اتخاذ القرارات والتوصيات ورسم سياسة الحزب ، وانتخاب القيادات ومراقبة تنفيذها للسياسة التي يرسمها المجلس وللقرارات التي يتخذها .

على ان الدقة تستلزم ان نميز بين مرحلتين مختلفتين في تاريخ مجالس الحزب : المرحلة الاولى ، التي تقع بين المؤتمر التأسيسي عام ١٩٤٧ والمؤتمر القومي الثاني عام ١٩٥٤ ، والمرحلة الثانية التي تمتد من المؤتمر القومي الثاني حتى قرار القيادة القومية بحل الحزب في القطر العربي السوري في ٢٣ شباط عام ١٩٥٨ .

المرحلة الاولى : دورات مجلس حزب البعث العربي

لقد ظل حزبنا يعرف باسم حزب **(البعث العربي)** حتى تاريخ ١٣ تشرين الثاني ١٩٥٢، عندما تم اندماج الحزب العربي الاشتراكي به **على اساس دستور (البعث العربي)** ، فاضيف كلمة الاشتراكي الى اسم الحزب منذ ذلك التاريخ ، واصبح اسمه بالتالي **(حزب البعث العربي الاشتراكي)** . وقد تم هذا الاندماج في عهد دكتاتورية اديب الشيشكلي ، بعد ان تحول الحزب الى التنظيم السري . وظهر هذا الاسم علنا لاول مرة في منشور وزعه الحزب ضد اديب الشيشكلي بعيد ذلك في شهر كانون الاول ١٩٥٢ . واعلن الاندماج على الملأ بعد سقوط نظام الشيشكلي ، وذلك في **المؤتمر القومي الثاني في حزيران ١٩٥٤ ، الذي وضع نظاما داخليا جديدا للحزب .**

وقد نص هذا النظام الداخلي الجديد على تقسيم تنظيم الحزب القومي الى اقطار ، لكل قطر منه **قيادة قطرية** ، وللحزب كله

قيادة قومية واحدة ، كما نص على أن يكون للحزب على الصعيد القومي مؤتمر واحد ، هو **المؤتمر القومي** ، يتألف من ممثلي الاقطار المنتخبين ، وعلى ان يكون للحزب على مستوى القطر مجلس منتخب يدعى **مجلس الحزب** وهو بمثابة المؤتمر القطري .

وكانت هذه التسميات تقر للمرة الاولى . فقبل ذلك لم يكن في حزب (البعث العربي) قيادة قومية ، وانما كان في الحزب قيادة واحدة للتنظيم القومي كله تدعى **اللجنة التنفيذية** ، وبالتالي لم تكن هناك قيادات قطرية ، لأن التنظيم كان مقسما الى فروع وليس الى اقطار ، فكان يقال : فرع حمص ، وفرع الاردن ، وفرع اللاذقية ، وفرع لبنان الخ ... فالأقطار العربية غير السورية كانت فروعا ، شأنها في ذلك شان المحافظات السورية سواء بسواء . ولم يكن في نظام حزب (البعث العربي) نوعان من المؤتمرات : قومي وقطري ، وانما (مجلس حزب) واحد ، على صعيد الحزب كله . وهذا المجلس المنتخب هو الذي كان يقوم بانتخاب القيادات المتوالية ، التي كانت تعرف باسم (اللجنة التنفيذية) كما اسلفنا ، وذلك باستثناء اللجنة التنفيذية الاولى ، التي انتخبها المؤتمر التأسيسي بالتزكية .

اما المؤتمر القومي الاول **(او المؤتمر التاسيسي)** ، فلم يعرف بهذا الاسم الا اعتبارا من المؤتمر القومي الثاني (١٩٥٤) ، الذي انتخب اول قيادة في تاريخ الحزب تعرف باسم (القيادة القومية) .

فماذا نقول عن مجلس الحزب في الفترة الواقعة بين المؤتمرين القومي الاول والقومي الثاني ؟ هل كان بمثابة مؤتمر قومي ام قطري ؟ لقد كان بمثابة مؤتمر قومي لجهة انه اعلى هيئة منتخبة على صعيد الحزب ككل ، وانه الهيئة التي تنتخب اعلى قيادة في الحزب ، وهي (اللجنة التنفيذية) ، ولجهة انه كان يعالج السياسة على صعيد الوطن العربي كله . وكان ـ في الوقت نفسه ـ بمثابة مؤتمر قطري

لجهة ان اعضاءه المنتخبين كانوا كلهم تقريبا من القطر العربي السوري ، وذلك لصعوبة تمثيل الاقطار العربية الاخرى لأسباب تنظيمية وامنية ، فكان يتم تمثيل هذه الاقطار احيانا بعدد رمزي من الطلاب غير السوريين في الجامعة السورية **(جامعة دمشق اليوم)** . كما كان مجلس الحزب بمثابة مؤتمر قطري لجهة ان اعضاء جميع القيادات (اللجان التنفيذية) المتعاقبة التي انتخبها كانوا من ابناء القطر العربي السوري حصرا .

وقد عقد مجلس الحزب في هذه المرحلة الواقعة بين المؤتمرين القوميين الاول والثاني **ثماني دورات** (كما هو مبين في الجدول رقم /٣/) . كما عقد مجلس الحزب القطري **اربع دورات** بين المؤتمر القومي الثاني وقرار القيادة القومية بحل الحزب في ٢٣ شباط ١٩٥٨ (كما هو مبين في الجدول رقم /٤/) .

ومن المؤسف ان معظم الوثائق الاساسية لهذه المجالس مفقود(١) بسبب ظروف الحزب النضالية في الخمسينات وفي اواخر الاربعينات ، بل ان وثائق بعض هذه المجالس مفقود كليا ، كوثائق المجلس الرابع الذي انعقد في كانون الاول ١٩٤٩ ، **وكان موضوعه الاساسي محاسبة ميشيل عفلق على رسالته التي وجهها من السجن الى حسني الزعيم** ، الامر الذي يوحي بأن هذه الوثائق قد اخفيت عمدا (٢) . ونورد فيما يلي موجزا عن كل مجلس من هذه المجالس ضمن حدود الامكان :

١ ـ مجلس الحزب الاول(٣) :

عقد مجلس الحزب دورته الاولى بعد انفضاض المؤتمر التأسيسي باقل من ٦ اشهر ، وذلك يومي **١٩ و ٢٠ ايلول ١٩٤٧ في دمشق** . ولم يبق لنا من وثائق هذا المجلس سوى البيان(٤) الذي اصدره عقب اختتام اعماله ، ونشرته جريدة (البعث) في عددها رقم ٢١١ الصادر في ١١ تشرين الاول ١٩٤٧ . ومن قراءة هذا البيان نستخلص عن اعمال هذا المجلس ما يلي :

الجدول رقم (٣)

دورات مجلس حزب (البعث العربي)

مسلسل	المجلس	تاريخ الانعقاد	مكان الانعقاد
١	مجلس الحزب الاول	١٩ ـ ٢٠ ايلول/١٩٤٧	دمشق
٢	مجلس الحزب الثاني	تشرين الثاني / ١٩٤٧	حمص
٣	مجلس الحزب الثالث	١٥ ـ ١٧ نيسان/١٩٤٩	مكتب الحزب (السبكي ـ شهدا) بدمشق
٤	مجلس الحزب الرابع	كانون الاول /١٩٤٩	مكتب الحزب (السبكي ـ شهدا) بدمشق
٥	مجلس الحزب الخامس	٦ ـ ٩ نيسان /١٩٥٠	مكتب الحزب (السبكي ـ شهدا) بدمشق
٦	مجلس الحزب السادس	٢٧ ـ ٢٩ ايلول/١٩٥٠	مكتب الحزب (السبكي ـ شهدا) بدمشق
٧	مجلس الحزب السابع	٢٨ ـ ٢٩ كانون الاول / ١٩٥٠	مكتب الحزب (السبكي شهدا) بدمشق
٨	مجلس الحزب الثامن	اوائل تموز / ١٩٥١	مكتب فرع الحزب في اللاذقية (شيخضاهر)

ملاحظة : نرحب بأي ترميم او اكمال او تصحيح موثق للمعلومات الواردة في هذا الجدول.

الجدول (٤)

دورات المجلس القطري السوري لحزب البعث العربي الاشتراكي

مسلسل	المجلس	تاريخ انعقاده	مكان الانعقاد
١	المجلس القطري الاول	٦ ـ ٨ كانون الثاني ١٩٥٥	مكتب الحزب (مقابل المشفى الايطالي) بدمشق
٢	المجلس القطري الثاني	من ٣٠ آذار الى اول نيسان / ١٩٥٥	مكتب الحزب (مقابل المشفى الايطالي) بدمشق
٣	المجلس القطري الثالث	٣٠ آذار / ١٩٥٦	مكتب الحزب (مقابل المشفى الايطالي) بدمشق
٤	المجلس القطري الرابع	٩ ـ ١٢ تموز / ١٩٥٧	مكتب الحزب (مقابل المشفى الايطالي) بدمشق

ملاحظة : نرحب بأي ترميم او اكمال او تصحيح موثق للمعلومات الواردة في هذا الجدول.

١ ـ ١) **على الصعيد التنظيمي** كان اعضاء المجلس يمثلون جميع فروع الحزب ، ولكن لا توجد اية اشارة في البيان عن طبيعة هذا التمثيل ، هل هو بالانتخاب ام بالتعيين ، وان كان المفروض نظريا ونظاميا ان يكون بالانتخاب لا بالتعيين .

١ ـ ٢) ولا بد ان المجلس قد كرس جزءا كبيرا من وقته لدراسة **السياسة الداخلية السورية** ، بدليل ان الامور المتعلقة بهذه السياسة قد شغلت مساحة كبيرة من البيان الصادر عن المجلس . فهو يتحدث اولا عن **ازمة الحكم** التي تبين للحزب انها « ليست نتيجة لوجود حكومة او حكومات معينة ، بل لوجود فئة حاكمة .. عملت ... على افساد الحكم الديمقراطي » فشلّت المجلس النيابي، ولجمت حرية الشعب ، وزورت الانتخابات . ويرى البيان في « السلطة العليا » ـ اي شكري القوتلي ـ التي « تدخلت في كبير الامور وصغيرها » جزءا من هذه الفئة الحاكمة وعونا لها على تحدي ارادة الشعب ، ففرضت نوابها على دمشق « بالتزوير وقوة السلاح » . ودعا البيان الشعب الى القضاء على « دكتاتورية الفئة الحاكمة » التي سلكت سبل التآمر مع « الشركات الاجنبية والمصالح الاستعمارية ، وتسخير الملايين من افراد الشعب في سبيل رفاه زمرة الاقطاعيين وبذخهم » .

ثم تحدث البيان عن فضيحة **تزوير الانتخابات** ـ التي كانت اول انتخابات تجري على درجة واحدة في تاريخ سورية ـ بالتفصيل . ثم اعلن البيان ان حزب البعث العربي « لا يعترف بهذا المجلس (النيابي) وما يصدر عنه من حكومات ، ما لم تمح مفاسد التزوير وآثاره بالغاء انتخاب النواب المزورين ، وما لم يحاكم مرتكبو التزوير والموعزون به **مهما سمت منزلتهم ومراكزهم** ، وذلك باحالتهم الى المحكمة العليا ... » .

وانتقل البيان بعد ذلك الى فضح تصميم الفئة الحاكمة على **تعديل الدستور** ، لانها « تود لو تخلد في الحكم بالرغم من ارادة

الشعب ، ولو بحيلة تعديل الدستور » بدليل ان هذه الفئة ترمي « في الحقيقة لتعديل اصلح مادة دستورية . . نعني المادة /٦٨/ التي تمنع اعادة انتخاب رئيس الجمهورية » ولا سيما ان « جمهوريتنا اليوم هدف لدعاية ملكية مغرضة » تتمثل في دعوة الملك عبد الله الى مشروع سوريا الكبرى ، فلا بد من ابقاء هذه المادة الدستورية على حالها ، لابراز « فضائل النظام الجمهوري (على) النظام الملكي (وهي) كون الرئاسة في الاول مؤقتة ومتداولة وفي الثاني وراثية ودائمة » . ودعا مجلس الحزب في بيانه الى وقوف الشعب والقلة من النواب الاحرار لاحباط هذه المؤامرة الجديدة على الحريات الدستورية والديمقراطية المتمثلة بالتصميم على تعديل المادة /٦٨/ وحدها دون غيرها من الدستور .

كما اعلن المجلس في بيانه موقف حزب البعث العربي **من قضية جبل العرب** ، الذي يتلخص في انه « يؤيد مطالب الشعب . . . تأييدا مطلقا . . . ضد طبقة الاقطاعيين والمستغلين ، وضد الفئة الحاكمة » . كما ينتقد « انحراف الحركة الشعبية في الجبل مع مؤامرة الحكومة » التي « اصطدمت بمعارضة عنيدة لسياستها من قبل قائد الثورة السورية » فاستغلت الفرصة « وعملت على توسيع الخلاف بين الطرفين وتغذية الفتنة بكل الوسائل » .

كما شن المجلس في بيانه حملة شديدة على **السياسة الاقتصادية** للفئة الحاكمة ، وهي السياسة القائمة « على خدمة منافع الاقلية المستثمرة من كبار التجار واكابر الراسماليين والاقطاعيين ضد مصلحة الطبقات الشعبية الكادحة» . وفصل البيان في الكلام على مظاهر الازمة الاقتصادية كالغلاء الفاحش ، وشبح الافلاس الاقتصادي ، واحتكار القمح ، وارباح مصلحة (الميرة) الفاحشة من خبز الفقير ، وتلاعب التجار المحتكرين باسعار المواد الغذائية الضرورية . وانتهى البيان في هذا المجال الى مطالبة الحكومة بعدد من الاجراءات لمعالجة الازمة .

(١ ـ ٣) وتطرق المجلس في بيانه الى **السياسة العربية** ، فتناول ابرز القضايا السياسية المطروحة على الساحة العربية : فاعلن وقوف حزب البعث العربي « مما يسمونه **مشروع سورية الكبرى** » موقف المعارض المقاوم ، وذلك بسبب انتقاص المعاهدة البريطانية ـ الاردنية من استقلال الاردن ، وبسبب حرص سوريا على مبدأ الجمهورية . على ان الحزب لا ينسى الفرق بين معارضته لهذا المشروع ومعارضة الفئة الحاكمة » التي تتخذ من « نير المعاهدة مع بريطانيا . . . ذريعة كي تعزز التجزئة » بدلا من المسارعة الى مساعدة الاردن للتحرر من قيوده . « كما ان الحزب . . . يفرق ايضا كل التفريق بين النظام الجمهوري الذي يريده . . . وبين الحكم المطبق في سوريا »(٥) .

كما تعرض بيان مجلس الحزب الى قضية **لواء الاسكندرون** ، فاعلن ان « حزب البعث العربي يرى ان السياسة التي تتبعها بعض الدول العربية تجاه تركيا تنافي مصلحة الدول العربية كلها » ، ويطلب الى الجامعة (العربية) تقييد هذه الدول بسياسة عربية يكون اول اهدافها استرداد لواء الاسكندرون » .

وقال البيان ان حزب البعث العربي يرى ان عودة « الائتلاف بين العروبة والحرية والعدل الاجتماعي » عن طريق « تقدم الحركة الشعبية » في **لبنان** ، هي الكفيلة بانقاذه .

وخص بيان مجلس الحزب **فلسطين** بقسط واف من الاهتمام . فبعد ان هاجم تخاذل الحكومات العربية وضعفها ، وتخديرها لنضال الشعب حتى « بلغت قضية فلسطين . . . آخر مرحلة من مراحل الخطر » دعا الشعب العربي الى ممارسة الضغط على الحكومات لكي تنفذ تعهدها بتعبئة قواها المسلحة ، وتزيل من طريق الشعب كل العقبات التي تقف دون انتظامه في حركة الجهاد لانقاذ فلسطين ، ولكي تتخلى عن سياستها التي تضمن للدول المعادية للقضية الفلسطينية « جميع مصالحها الاقتصادية والثقافية

والعسكرية » . ثم اعلن البيان « ان حزب البعث العربي ... يضع نفسه في طليعة كتائب الجهاد ، ويعلن استعداده للتعاون مع جميع الهيئات الوطنية المخلصة في سبيل تنظيم هذا الجهاد لانقاذ فلسطين ... »(٦) .

ولم ينس البيان ان يسجل فشل الفئات الحاكمة في **مصر والعراق وشرقي الاردن** ، في مقاومة المستعمر ، وعزا هذا الفشل الى « تحكم الاقلية الحاكمة بالاكثرية الشعبية في هذه البلاد » .

٢ ـ المجلس الثاني :

انعقد هذا المجلس في حمص في شهر تشرين الثاني ١٩٤٧ . ومن المؤسف انه لم تصل الينا اية وثيقة من وثائق هذا المجلس ، فهي مفقودة كلها ، ولم يبق لدينا من معلومات عنه سوى اشارة مقتضبة في النشرة التي اصدرها مكتب الدعاية في الحزب عن اعمال المجلس الثالث(٧) ، ونصها كما يلي :

« مؤتمر حمص في تشرين الثاني ١٩٤٧ ، وفيه اجتمع مجلس الحزب واقر بيانا سياسيا عاما ، واقر الامور التالية :

أ ـ النضال ضد مؤامرة تعديل الدستور .

ب ـ تطوع اعضاء الحزب للقتال في فلسطين .

ج ـ اصدار الجريدة على شكل صحيفة اسبوعية »(٨) .

ومن الجدير بالملاحظة ان هذا النص يستخدم كلمتي « مؤتمر » و « مجلس » معا للدلالة على مجلس الحزب . وسنلاحظ ان استخدام كلمة « مؤتمر » سيزداد بمرور الزمن . على اننا آثرنا استخدام كلمة « مجلس » هنا للتمييز بين المؤتمرات التي انعقدت بعد ثورة آذار والتي انعقدت قبلها .

كما يلفت النظر قصر المدة الفاصلة بين انعقاد المجلس الاول

وانعقاد المجلس الثاني ، مما يوحي بأن المجلس الثاني كان بمثابة دورة استثنائية للمجلس الاول .

٣ ـ المجلس الثالث :

انعقد هذا المجلس في مكتب الحزب بدمشق لمدة ثلاثة ايام (١٥ ـ ١٧ نيسان ١٩٤٩) ، وجاء انعقاده بعد اقل من ثلاثة اسابيع على انقلاب حسني الزعيم . ونورد فيما يلي اهم المعلومات عن هذا المجلس :

٣ ـ ١) **على الصعيد التنظيمي** : يمكن تلخيص ابرز ما يمكن ان نورده عن المجلس على هذا الصعيد في النقاط التالية :

ـ هذا المجلس جديد ومنتخب ، جرى انتخاب اعضائه قبيل انعقاده في جميع الفروع ، وارجح الظن انه اول مجلس منتخب في تاريخ الحزب . غير ان **فرع اللاذقية** لم ينتخب ممثليه « بسبب تأخر رسالة المركز » الى هذا الفرع بشأن الانتخابات . فناقش المجلس صحة عضوية ممثلي فرع اللاذقية ، وصوت على ذلك بالايجاب ، بالنسبة الى « هذه الدورة فقط ، على ان تجري انتخابات جديدة» .

ـ حضر هذا المجلس ممثلو جميع الفروع في سوريا ، كما حضره ممثلون عن **فرع شرقي الاردن** ، وتعذر حضور ممثلي **فرع العراق** .

ـ تقدمت اللجنة التنفيذية (القيادة) الى المجلس بمشروع نظام داخلي جديد ، فشكل المجلس في جلسته الاولى (مساء ١٥/٤/١٩٤٩) لجنة لدراسة المشروع . ثم تقدمت اللجنة بتقريرها الى المجلس في جلسته الثالثة (مساء ١٦/٤/١٩٤٩) متضمنا بعض التعديلات ، فاقر المجلس النظام الداخلي الجديد بعد مناقشته والتصويت عليه مادة مادة .

ـ انتخب المجلس في جلسته الثالثة لجنة تنفيذية (قيادة) جديدة مؤلفة من **سبعة اعضاء** ، بحسب نصوص النظام الداخلي

الجديد ، وهي اللجنة التنفيذية (القيادة) الثانية في تاريخ الحزب. اما الاولى فهي التي انتخبها المؤتمر التاسيسي(٩) .

– تقدمت اللجنة التنفيذية بتقرير عن اعمالها التنظيمية الى المجلس في جلسته الرابعة (صباح ١٩٤٩/٤/١٧) ؛ ابرز ما فيه الاعلان عن « **ايجاد نواة لفرع كبير في العراق** » .

٣ – ٢) **على الصعيد السياسي** : يمكن تلخيص ابرز اعمال المجلس على الصعيد السياسي في ما يلي :

– ناقش المجلس التقرير السياسي المقدم اليه من اللجنة التنفيذية في جلسته الثانية (صباح ١٩٤٩/٤/١٦) مناقشة مطولة ابرز ما جاء فيها : مطالبة القيادة وضع برنامج لسياسة الحزب ، وانتقاد اللجنة التنفيذية لعدم دعوتها مجلس الحزب الى الاجتماع لتقرير سياسة الحزب ولعدم توضيحها مبادىء الحزب الاساسية.

– اما التقرير السياسي نفسه فيعرض مواقف الحزب ونضاله « خلال السنتين الماضيتين » . وابرز ما جاء فيه : وقوف الحزب موقف التأييد من انقلاب حسني الزعيم « وقيامه بمظاهرات جريئة في المدن السورية » تعبيرا عن هذا التأييد ، وتقديم مذكرة باسم الحزب « الى رجال العهد الجديد ، فيها تأييد للانقلاب ولزوال العهد البائد » . وليس في التقرير اية اشارة الى توصيات او قرارات تتعلق بالمستقبل . اما بالنسبة الى المرحلة السابقة ، فان اهم ما اورده التقرير :

آ – قاد الحزب مظاهرات لجعل الانتخابات النيابية على درجة واحدة ، حتى تحقق اقرار هذا المبدأ .

ب – خاض جميع اعضاء اللجنة التنفيذية معركة الانتخابات ، فلم ينجحوا بسبب التزوير .

ج – وقوف الحزب ضد تعديل الدستور .

د – ذهاب فرقة من الحزب مع اللجنة التنفيذية الى فلسطين .

هـ – قيادة الحزب لمظاهرات تشرين الثاني ١٩٤٨ .

و – ضغط الفئة الحاكمة على الحزب ومحاولة ارهابه : اعتقال عدد من قياديي الحزب ومحاكمتهم ، وكذلك عدد من الاعضاء في اللاذقية ودمشق وحمص – تعطيل صحيفة (البعث) ومصادرتها مرارا – القاء قنبلتين على مكتب الحزب بدمشق .

ز – مساهمة الحزب في المظاهرات ضد اتفاقيتي النقد والتابلاين .

– اجرى مجلس الحزب نقاشا طويلا حول فكرة اشتراكه في الحكم ، بعد ان عرض عليه ذلك(١٠) .

* * *

ولكن لم ينقض وقت طويل على انفضاض جلسات مجلس الحزب الثالث ، حتى اسفر حسني الزعيم عن وجهه ، وقلب للشعب ظهر المجن ضاربا بالوعود التي قطعها على نفسه علنا وفي لقائه باللجنة التنفيذية للحزب عرض الحائط ، وبدت اغراض الانقلاب على حقيقتها سافرة للعيان . وتتابعت التطورات السياسية الخطيرة متسارعة على النحو التالي :

آ) تحول حزب البعث العربي من تأييد الانقلاب الى المعارضة الصريحة ، فوجه الحزب مذكرة عنيفة الى حسني الزعيم بتاريخ ٢٤ أيار ١٩٤٩ .

ب) عمد حسني الزعيم في اعقاب ذلك الى شن حملة من الارهاب والاضطهاد على الحزب ، فاعتقل عددا من ابرز اعضائه ، كما اعتقل اربعة من اعضاء لجنته التنفيذية (وهم : ميشيل عفلق، وصلاح الدين البيطار ، وجلال السيد ، والدكتور وهيب الغانم) ، وشملت اوامر الاعتقال عددا آخر من اعضاء الحزب ، الذين تواروا عن الانظار تجنبا للاعتقال .

ج) لم تفت" هذه الحملة في عضد الحزب ، فتولى الدكتور مدحت البيطار قيادة اللجنة التنفيذية ، التي اصدرت بيانا بتاريخ ٣٠ أيار ١٩٤٩ ، وبيانا آخر بتاريخ٩ حزيران ١٩٤٩ ، اعلنت فيهما اصرارها على مضمون مذكرة الحزب المؤرخة في ٢٤ أيار ١٩٤٩ ، وعدم اعترافها بشرعية الاتفاقيات والعقود التي ابرمها الانقلاب مع الدول والشركات الاجنبية،وعدم اعترافها سلفا بالاستفتاء الصوري المقبل على رئاسة الجمهورية .

د) بعد هذا البيان الاخير بيومين فقط ، اي في ١١ حزيران ١٩٤٩ ارسل ميشيل عفلق من سجن المزة رسالة بتوقيعه الى حسني الزعيم ، يطلب فيها العفو عن ((**طيش الشباب**)) ! ويعلن فيها **اعتزاله العمل السياسي** .

لقد كانت هذه الرسالة المشؤومة مأساة بحجم الكارثة حلت بالحزب ، فاورثته ازمة في القيادة ، عكف مجلس الحزب في معظم دوراته التالية على محاولة ايجاد مخرج لها . فكيف عالجت مجالس الحزب التالية هذه الازمة ؟ وما الحلول التي خرجت بها ؟ وهل نجحت في هذه الحلول ام لا ؟ هذا ما سنحاول عرضه في الحلقة القادمة .

— الهوامش —

١) انظر ماذكرناه عن مشكلة فقدان الوثائق بصورة عامة في مقالتنا (مبادىء «البعث» قبل المؤتمر التاسيسي) ، مجلة المناضل ، العددان ٢٢٨ — ٢٢٩ ، كانون الثاني — شباط ١٩٨٩ ، ص ١٤ — ١٥ .

٢) تغفل سلسلة (نضال البعث) — على سبيل المثال — المجلس الرابع والمجلس السادس اغفالا تاما .اما المرحوم جلال فاروق الشريف فقد اورد في امليتيه التدريسيتين عامي ١٩٧٩ و ١٩٨٠ تعدادا لهذه المجالس ، ولكنه ناقص يقتصر في تعداده على خمسة من اصل ثمانية ، ويغفل الاول والرابع والسادس . على انه يعود

في مقالة مستقلة في مجلة المناضل (اب — ايلول ١٩٨٢) الى الحديث من الذاكرة عن المجلس الرابع مع شيء من الخلط بين المجلس الرابع والمجلس الخامس . ومن الجدير بالذكر انه يسمي هذه المجالس جميعا « مؤتمرات قطرية سورية » .

٣) ليس للدورات التي عقدها مجلس الحزب ارقام مسلسلة في الاصل ، وانما اضفنا الارقام من عندنا ، وذلك توخيا للترتيب وحسن التصنيف ، وقياسا على المؤتمرات القومية منذ البداية ، وعلى المؤتمرات القطرية السورية بعد قيام ثورة الثامن من آذار ١٩٦٣ .

٤) نص هذا البيان الكامل منشور ايضا في (نضال البعث) ، دار الطليعة ، بيروت ، ج١ ، ط ٢ ، كانون الاول ١٩٧٢ ، ص ١٩٨ — ٢٠٨ .

٥) يشكل هذا الموقف « المعارض المقاوم » لمشروع سوريا الكبرى تطورا كبيرا بالقياس الى موقف الحزب المعلن سابقا من هذا المشروع . فقد سبق لحزب البعث العربي ان اصدر بيانا بتاريخ ٨ آذار ١٩٤٥ ، شن فيه حملة عنيفة على رئيس الجمهورية شكري القوتلي ، الذي رفض في خطاب القاه في المجلس النيابي مشروع سوريا الكبرى بقوله : « انه يقبل بمشروع سوريا الكبرى على أن تكون جمهورية لا يتسرب اليها الطغيان الصهيوني » . ورد البيان على اشتراط رئيس الجمهورية استبقاء النظام الجمهوري « لقبول توحيد سوريا الكبرى » بقوله : ان عرب سوريا يقبلون بارجاء تطبيق نظرتهم الى النظام الجمهوري ، الذي يرون فيه خير نظام يلائمهم ، ولا يقبلون « ان تضحى وحدة سوريا الطبيعية في سبيل التعلق بشكل الحكم » . واضاف رداً على موقف شكري القوتلي فقال : « والواقع ان هذا الاشتراط الذي اشترطه الرئيس الاول ليس الا رفضا رسميا لتوحيد سوريا ، والا قرارا صريحا كشف النقاب عن السياسة الانفصالية ، التي ظلت الفئة الحاكمة تتبعها طوال خمسة عشر عاما ، في الوقت الذي كانت توهم فيه الناس انها تعمل لقضية الوحدة العربية ، اذ ليس من وحدة حقيقية لا يسبقها توحيد اجزاء سوريا واتحادها مع العراق . اما الطغيان الصهيوني فبديهي انه اشد خطرا في حالة التجزئة منه في حالة الوحدة» . (انظر النص الكامل لهذا البيان في «نضال البعث» المصدر السابق نفسه ، ط ٢ ، ج١ ، ص ٤٠ . ومن الجدير بالذكر ان نص هذا البيان المنشور في الطبعة الاولى من « نضال البعث » نص ناقص حذفت منه هذه العبارات التي توحي بوقوف الحزب موقف التاييد من مشروع سوريا الكبرى . راجع الطبعة الاولى ، ص ٥١ — ٥٢ .

٦) مما يجدر ذكره ان هذا البيان صدر قبل قرار تقسيم فلسطين بحوالي شهرين .

٧) العدد الخامس من نشرة (نضال البعث العربي) ، الصادرة من مكتب الدعاية في الحزب بتاريخ ٦ ايار ١٩٤٩ . النص الكامل لهذا العدد منشور في (نضال البعث) ، المصدر السابق نفسه ، ص ٢٧٤ – ٢٧٧ .

٨) راجع (نضال البعث) ، المصدر السابق ، ص ٢٧٥ .

٩) كان النظام الداخلي الذي أقره المؤتمر التاسيسي ينص على ان تكون اللجنة التنفيذية مؤلفة من خمسة اعضاء ، فلم يتقدم للترشيح سوى اربعة (وهم: ميشيل عفلق ، وصلاح الدين البيطار ، وجلال السيد ، والدكتور وهيب الغانم) ففازوا بالتزكية ، بعد ان اقر المؤتمر الاكتفاء بهؤلاء الاربعة . (مقابلة مسجلة مع الدكتور مدحت البيطار عام ١٩٨٢) . اما اللجنة التنفيذية الجديدة فقد انتخبت على النحو التالي : ميشيل عفلق (عميدا بالتزكية) ، ثم صلاح الدين البيطار ( )، صوتا) ، والدكتور وهيب الغانم (٥٤ صوتا) ، وجلال السيد (٥٠ صوتا) ، والدكتور فيصل الركبي (٤٧ صوتا) ، والدكتور مدحت البيطار (٤٢ صوتا) ، وعبد الرحمن المارديني (٢٨ صوتا) ، اعضاء . وكان عدد المنتخبين ٥٥ عضوا . ولم يحالف النجاح ثلاثة مرشحين هم : الدكتور عبد الباسط الجندلي (٢٠ صوتا) وابو النور طيارة (١٧ صوتا) وزهير ميداني (٥ اصوات) . واكثر ما يلفت النظر في هذه النتيجة ان خمسة اعضاء لم يمنحوا اصواتهم لجلال السيد . ولعل هذا ما دفع المجلس الى انتخابه – على سبيل الترضية – رئيسا للجلسة الرابعة والاخيرة من جلساته ، بعد ان تولى عميد الحزب رئاسة الجلسات الثلاث السابقة بدون انتخاب .

١٠) لمزيد من المعلومات عن اعمال المجلس الثالث راجع النشرة المذكورة في الهامش رقم (٧) .

دراسات فكرية

التضامن العربي..
نظرة تاريخية وآفاق جديدة

الرفيق عدنان مسلم

يتصاعد العمل السياسي العربي في المرحلة الراهنة الى احياء وتقوية التضامن العربي الذي يشكل ضرورة ملحة بعد التطورات التي شهدتها المنطقة العربية من جهة ، والوضع الجديد الذي يعيشه العالم في ضوء حالة الانفراج الدولي ومايترتب عليها من انفراجات اقليمية عبر حل النزاعات(١) سياسيا من جهة ثانية .

انطلاقا من ذلك ، واعتمادا على الاسس الثابتة لسياسة القطر العربي السوري ، ومنها ايمانه الراسخ بالتضامن العربي كسبيل اساس لحشد الطاقات العربية وتوجهها لخدمة الهدف المركزي للشعب العربي .

انطلاقا من ذلك سنقف عند التساؤلات التالية :

١ ـ ما المقصود بالتضامن العربي ؟

٢ ـ كيف تبلور مفهوم التضامن العربي سياسيا وعربيا ؟

٣ ـ كيف تطور مفهوم التضامن العربي (التضامـن العربـ الكفاحي) ؟

وما هو موقف حزب البعث العربي الاشتراكي من التضامـ العربي ؟

ان الوقوف عند هذه المسائل الهامة يقتضي الرجوع الى دو ونضال الشعب العربي تاريخيا في مواجهة تحدياته (ضد الاحتلا العثماني الذي استهدف طمس الهوية العربية) و (ضد الاستعما الغربي) وجميع مخططاته ومؤامراته التي استهدفت اخضاع الا العربية لهيمنتة ، واقامة الكيان الصهيوني في فلسطين ... وحتـ الوقت الراهن حيث « ظهرت قضية التضامـن العربي والوحـ العربية في العصر الحديث كتعبير عن شعور العرب بالانتمـاء الـ قومية واحدة هي القومية العربية ، وعن طموحهم الـى التحـر والاستقلال والاتحاد ، وعن ادراكهم لاهميـة وضـرورة التكاتـ والتعاضد في مواجهة الاخطار التي تتهـدد عروبتهـم ووجوهـ ومصيرهم المشترك »(٢) .

اولا : تحديد مفهوم التضامن العربي :

التضامن هو التساند والتعاون ،والمساعدة المتبادلة والفورية عندما تدعو الحاجة الى ذلك. انطلاقا من روابط ووشائج مشتركة. وعلى الصعيد الدولي هو اتفاق بين دولتين (او اكثر وعندها يصبح تضامنا جماعيا) على التشاور والتساند في حال اعتداء دولة اخرى على احداهما .

اما التضامن العربي ARAB SOLIDARITY فقـد حددتـ

موسوعة السياسة بأنـه « مصطلح شـائع ، يستند في خلفيته ومنطلقه الى مبدا وحدة الامة العربية ، وضرورة التساند والتعاون فيما بين شعبها واقاليمها ، ولكنه في الاستخدام الواقعي يرمز الى مفهومين منفصلين قلما يتوحدان وينسجمان ، **المفهـوم الاول** هـو مفهوم التضامـن العربي الشعبي، الـذي يعكس وحـدة الشعور القومي العربي ، والاحساس بوحدة المصير والمصلحة الواحـدة في النضال المشترك ضد اعداء الامة العربية ومعوقات تقدمها ، ومـن اجل مستقبل حضاري زاهر موحد . وامـا **المفهوم الثاني** : فهـو المفهوم النظامي للتضامن العربي ، اي مستوى التعاون بين الـدول العربية الذي ينطلق من واقـع السيادات السياسيـة القطريـة ، والمصالح المائلة للحكام لامن الشعور بضرورة توفير مقتضيات وحدة معارك الامة ومصلحتها القومية المشتركة .

وقد تجسد الخلاف بين المفهومين ابان مباحثات انشاء جامعة الدول العربية ، اذ جاءت على غير الصورة التي ارادتها الجماهير العربية وقواها النضالية الطليعية ، بل جسـدت المفهوم الثانـي وعملت على تصليب جدران التجزئة العربية ، فلم يعـد التضامـن مدخلا لتحقيق الوحدة العربية ، بل بديلا نظاميا عنها . وقد اثبت التضامن النظامي فشله التام في حرب فلسطين عام (١٩٤٨) ،حيث كان ستارا لاتباع كل نظام خطته الخاصة واهدافه الضيقة ، الامر الذي اضعف الصف العربي وادى الى الهزيمة والكارثة .

ومن هنا اشتد ساعد النضـال الشعبي وارتفعـت حـدة التضامن الجماهيري العربي ، فخاض الشعب العربـي في اقطـار عديدة معارك ضد حلف بغداد والسيطرة الاجنبية ، ونشبت الثورة الجزائرية ، وامم الرئيس عبد الناصر قناه السـويس ، وخاضـت مصر حربا ضد الغزو البريطانـي ـ الفرنسي ـ الصهيونـي عـام (١٩٥٦) وسط حماس شعبي عربي عارم ، اسهم في احراز النصر ضد العدوان ، **وصنع اول وحدة عربية حديثة بين سورية ومصر ، وفجر ثورة تموز (١٩٥٨) ضد الحكم الرجعي في العراق ..**

غير ان التضامن العربي الشعبي ، بقي الى حد كبير دون تنظيم قومي جامع يضمن القدرة على تعبئته واستخدامه لتحقيق الفعالية القصوى وارتبكت وتائره ومرتكزاته ، عندما دب الخلاف بين القوى الرئيسة في حركة التحرر العربي الامر الذي اضعف القدرة العربية على مواجهة تحديات الرجعية الانفصالية في الداخل والصهيونية والامبريالية في الخارج . وهكذا اختار الرئيس عبد الناصر اللجوء الى التضامن العربي النظامي في مؤتمرات القمة العربية . والواقع ان متابعة مؤتمرات القمة العربية تدل على ان التضامن العربي النظامي لم يعط سوى نتائج محددة وغير هامة حتى عام (١٩٧٣) ، عندما ادى التضامن المحدود بين بعض الانظمة العربية الى شن حرب تشرين (١٩٧٣) والتي لعب التضامن العربي الشعبي دورا كبيرا في تصعيد وتيرة الصراع وتعميقه وامتداده ليشمل الساحة العربية كلها ، ليفرض استخدام النفط كسلاح سياسي في المعركة . وعلى الرغم من كل ماتحقق في حرب تشرين فإن غياب التوجه نحو المجابهه مع العدو الصهيوني الامبريالي فرض اللجوء مجددا الى التضامن العربي النظامي في ظل رجحان كفة الاتجاه التقليدي واللاثوري والتسووي بين الانظمة ، الامر الذي سهل مهمة تنفيذ المخطط الاميركي في المنطقة ، وانفجار التناقضات الثانوية ، وطغيانها على التناقض الرئيس مع العدو الصهيوني الامبريالي .

اما التضامن الشعبي العربي ، فلم يجد تعبيرا قويا الا في مساندة حركة المقاومة الفلسطينية وفي مرحلتها المتطورة الراهنة **(الانتفاضة في الارض المحتلة)** ولكن دون ان يؤدي ذلك الى تغيير في موازين القوى القائمة في المنطقة .

ثانيا ـ التضامن العربي (بدايات وتكوين) :

من اين يبدأ التضامن العربي ؟ ومتى ؟ وكيف ؟ . لعل الحقائق

التاريخية تشير الى ان جميع الثورات الشعبية التي ترامت هنا وهناك في الوطن العربي ، نضالا من اجل الدفاع عن حريتها واستقلالها ، هي المؤشر الاول لبداية ماسمي فيما بعد بالتضامن العربي .

ولعل الدور الذي قام به العرب في مواجهة الخطر الصهيوني على فلسطين عام ١٩٤٨ **(بالرغم من فشلهم)** يشكل ايضا مؤشرا آخر لما سمي فيما بعد بالتضامن العربي . طبعا بعد مؤتمر قمة انشاص (٢٨ ـ ٢٩ ايار ١٩٤٦) الذي تصادف مع (بدء مرحلة التنفيذ الفعلي للمخطط الصهيوني لاغتصاب فلسطين العربية بتواطؤ واضح وصريح من قبل بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية وكانت قضية فلسطين محور النقاشات التي درات بين المجتمعين)(٣) ..

وبدا العمل العربي يبرز بشكل رسمي عندما بدات فكرة عقد مؤتمرات القمة العربية كمحاولة لحل المشكلات التي تحول دون قيام اي عمل عربي مشترك قادر على خلق مواجهة حقيقية للخطر الصهيوني الامبريالي ..

وتشير الحقائق التاريخية الى ان « **الرئيس الراحل جمال عبد الناصر** اول من بادر للدعوة لعقد مؤتمر عربي على مستوى القمة عند مادعى الرؤساء والملوك والامراء العرب الى عقد اجتماع لهم في القاهرة اثناء الخطاب الذي كان يلقيه في بور سعيد يوم (٢٣ كانون اول ١٩٦٣) .. وكان الدافع لهذه الدعوة قيام العدو الصهيوني بالعمل على تحويل مياه نهر الاردن الى داخل فلسطين المحتلة » ...(٤)

وفعلا تم انعقاد المؤتمر بشكل رسمي في الفترة من (٣ ـ ١٦ كانون ثاني ١٩٦٤) وظهر ولاول مرة ماسمي **(بالتضامن العربي)** من خلال هذا المؤتمر .

جاء في بيان المؤتمر : « ... وقياما بواجب الدفاع المشرو وايمانا بحق الشعب العربي الفلسطيني المقدس ، في تقرير مصي والتحرر من الاستعمار الصهيوني لوطنه ، وبأن **التضامن العربي م** السبيل الى درء المطامع الاستعمارية وتحقيق المصالح العربي العادلة المشتركة ، قد اتخذت القرارات العملية اللازمة لانق الخطر الصهيوني الماثل سواء في الميدان الدفاعي او الميدان الفني او ميدان تنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره .. كما اسفرت اجتماعاته (**اجتماعا المؤتمر**) انهاء الخلافات وتصفية الجو العربي من جميع الشوائب وايقاف جميع حملات اجهزة الاعلام وتوثيق العلاقات بين الدو العربية الشقيقة ضمانا للتعاون البناء الجماعي ودرءاً للمطا التوسعية العدوانية التي تتهدد العرب جميعا ...»(٥)

وفي مؤتمر القمة العربي الثاني الذي عقد في الاسكندري بتاريخ (٥ / ٩ / ١٩٦٤) تضمنت خطة العمل العربي الجماعي لاجل تحرير فلسطين ـ (ضمن اطار التضامن العربي) ـ في بند الهدف القومي النهائي لتحرير فلسطين « **استكمال القوة العربية لتحقيق هذا الهدف ، وحشد جميع الطاقات العربية العسكرية والاقتصادية والسياسية** ..»(٦) **لذلك كان من نتائج هذا المؤتمر** : « **انشاء قيادة عربية عسكرية موحدة وتصفية الجو العربي** »(٧) .

غير ان مقولة التضامن العربي تبلورت بشكل واضح في مؤتمر القمة العربية الثالث الذي عقد في مدينة الدار البيضاء في المغرب في الفترة من (١٣ ـ ١٧ ايلول ـ ١٩٦٥) من خلال ما سمي « **ميثاق التضامن العربي** » الذي نجم عن اعمال ومناقشات هذا **المؤتمر** . وشملت احكام ميثاق التضامن الجوانب التالية :

١ ـ العمل على تحقيق التضامن العربي في معالجة القضايا العربية وخاصة قضية تحرير فلسطين .

٢ ـ احترام سيادة كل من الدول العربية ومراعاة النظم

السائدة فيها وفقا لدساتيرها وقوانينها وعدم التدخل في شؤونها الداخلية .

٣ ـ استخدام الصحف والاذاعات وغيرها من وسائل النشر والاعلام لخدمة القضية العربية .

٤ ـ مراعاة حدود التضامن والنقاش الموضوعي والنقد البناء في معالجة القضايا العربية ، ووقف حملات التشكيك والمهاترة عن طريق الصحافة والاذاعة وغيرها من وسائل النقد . اضافة الى احكام اخرى ..»(٨)

وعلى الرغم من هذا التطور الرسمي للتضامن العربي من خلال هذا الميثاق فقد بقي تنظيرا دون ممارسة عملية على مستوى العمل العربي الجماعي .

ان وثيقة التضامن العربي جاءت عامة وغير محددة ، فلم تحدد طرق تحقيق هذا التضامن ووسائله ، بل اقتصرت في هذا المجال على (**وقف حملات التشكيك والمهاترة الاعلامية**) ، وهذه بحد ذاتها احدى مظاهر تنقية الاجواء العربية التي تعد مقدمة (للتضامن العربي) اضافة الى ذلك فقد بقيت هذه الوثيقة كغيرها من المقررات الاخرى في الاطار النظري ، دون ان تجد لها طريقا للتنفيذ العملي في اطار العمل العربي المشترك(٩) .

وفي مؤتمر القمة العربية الرابع الذي عقد في الخرطوم خلال الفترة الواقعة بين (٢٩ آب و ١ ايلول ١٩٦٧) ، بهدف « **ازالة آثار عدوان حزيران عام ١٩٦٧** » جاء فيه حول التضامن العربي والعمل العربي الجماعي :

ـ ان الموقف يقتضي الان اكثر من اي وقت مضى وحدة الصف العربي ووحدة العمل الجماعي العربي وتنسيقه وتصفية الجو العربي من جميع الشوائب .

ـ تضافر جميع الجهود لازالة آثار العدوان على اساس

الاراضي المحتلة اراضي عربية يقع عبء استردادها على الامة العربية جمعاء .

ـ يوصي المؤتمر بوضع خطة شاملة ومتكاملة سياسيا وعسكريا واقتصاديا واعلاميا وثقافيا لدعم التضامن العربي وتحقيق الاهداف العربية .

ـ اكد المؤتمر من جديد التزام الجميع بميثاق التضامن العربي الذي وقع في مؤتمر القمة العربي الثالث في الدار البيضاء وتطبيقه .. (١٠)

كما كان شعار المؤتمر الخامس للقمة العربية الذي عقد في مدينة الرباط خلال (٢١ ـ ٢٣ كانون اول ١٩٦٩) : « **حشد الطاقات العربية من أجل خوض معركة التحرير** » حيث كان الوضع العربي تعبيرا عن واقع تعصفه الخلافات الحادة بين اقطاره ، وتهدر الامكانات العربية وتبدد طاقاتها ، وتزداد قدرتها على المواجهة والتحدي ضد الصهيونية والامبريالية ضعفا . لذلك كان البند الاول في جدول اعمال هذا المؤتمر « **حشد الطاقات العربية من اجل تحرير الارض المحتلة ، والموافقة على توزيع التزامات الدول العربية في خطة الحشد** » ..(١١)

ورغم ان الهدف المعلن والواضح لهذا المؤتمر كان من اجل حشد كل الطاقات العربية في خدمة المعركة الا ان (**كالعادة**) الاتفاق على التنفيذ العملي لم يكن متلائما مع القول ، وهكذا فشل شعار المؤتمر ولم يحقق اية نتيجة .

ثالثا ـ التضامن العربي الكفاحي :

قال الرفيق المناضل حافظ الاسد ، الامين العام للحزب في كلمته في المؤتمر القومي الثاني عشر للحزب في الجلسة الختامية بتاريخ (٢٤ / ٧ / ١٩٧٥) : « .. ان التضامن العربي هو صيغة

من صيغ العمل تبدا بازالة مظاهر وعوامل التوتر والقطيعة وتنتهي بشكل عال من اشكال التنسيق ... في ظل هذه الرؤية نعمل لتحقيق التضامن العربي ، ونسهم في تحقيق التضامن العربي ، نحن في معركة والامة تواجه خطرا . فلمن تلجأ الامة وهي تواجه الخطر ؟ اذا لم تلجأ الامة العربية لابنائها ، لمن تلجأ ، بمجموعها او باجزائها ، عندما تتعرض للخطر ؟ انها تلجا اول ماتلجأ للامة العربية لنفسها ، لبنيها ، من اجل الدفاع عنها ضد هذا الخطر لاجل الذود عن مصيرها المهدد ، هذه ليست سنة آتينا بها نحن ، انما هي سنة الكون ، ليس في اطار الامة الواحدة انما في اطار الامم المختلفة ، وليس في اطار الانظمة المتماثلة وحدها، وانما في اطار الامم المتناقضة جذريا(١٢) ، وقال ايضا في الكلمة التي القاها اثناء الجلسة الافتتاحية للمؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي في القطر العربي السوري المنعقد بتاريخ (٥ ـ ١٩٨٥/١/٢٠) بدمشق : « .. **ان التضامن هو شعارنا ، ونحن متمسكون به ومناضلون من اجله ، ولكن التضامن الذي تريده سورية العربية وتناضل من اجله هو التضامن على اساس معاد للامبريالية والصهيونية ، لاعلى** اساس موال للامبريالية والصهيونية . التضامن الذي تريده سورية **وتريده الجماهير العربية هو التضامن لتعزيز الصمود وليس تضامنا لتعزيز الاستسلام ، اننا بعزم وشرف نمد يدنا الى كل من يريد تضامنا عربيا مضمونه الصمود ضد العدوان والتوسع ..(١٣)**

وبضوء ذلك نلحظ التأكيد الملح على مقولة التضامن العربي الذي يتحدد بمعالم ومؤشرات واقعية ملموسة ، وليست مجرد شعارات نظرية . هذا الارتقاء بمفهوم التضامن يبدا من ازالة مظاهر التوتر والقطيعة ، الى تجسيد الثقة المتبادلة ، الى التنسيق الفعال ذو المستوى العالي الذي يشمل المجالات العربية كافة بمختلف ميادينها وابعادها (**تحقيق شكل عال من اشكال التنسيق**) **او مايسمى (التضامن العربي الكفاحي)** ..

وقد برزهذا التحديد المباشر والواقعي لمفهوم التضامن العربي **منذ قيام الحركة التصحيحية (١٦ تشرين الثاني ١٩٧٠) .** حيث جاء في بيان القيادة القطرية السورية المؤقتة حينذاك ، وفي المجال العربي : « .. التحرك الواسع مع الدول والقوى العربية التقدمية في كافة المجالات التي تعزز استراتيجية الكفاح المسلح ، وحشد الطاقات العربية في المعركة المصيرية ، والعمل على تحقيق خطوات وحدوية مع الدول التقدمية ، .. ودعم كافة الحركات التقدمية في الوطن العربي بكافة الوسائل والعمل على **تحقيق الجبهة العربية التقدمية » ..(١٤)**

وقد كان انعقاد مؤتمر قمة دول الاتحاد العربي(١٥) في القاهرة (٢٠ ـ ٢٢ كانون الثاني ١٩٧١) اول خطوة عملية مباشرة لتجسيد العمل العربي الجماعي الجديد ، حيث « اتفق الرؤساء على حشد كافة امكانيات وطاقات دولهم من اجل ازالة آثار العدوان وتحرير الارض العربية ، والوقوف بصلابه في مواجهة المخطط الامبريالي الصهيوني ..(١٦)

كما كانت حرب تشرين التحريرية (٦ تشرين اول ١٩٧٣) مؤشرا واقعيا ملموسا ترجم مقولة حشد الطاقات العربية في المعركة المصيرية ضد العدو . وعقد ابان ذلك المؤتمر السادس للقمة العربية في الجزائر (٢٦ ـ ٢٨ تشرين ثاني ١٩٧٣) بهدف اساس هو **« تعزيز التضامن العربي الذي تجلى بوضوح ابان حرب تشرين التحريرية** ، وثبتت اهميته وفعاليته في حشد وتعبئة الطاقات العربية وتوفير اسباب النصر على العدو الصهيوني ..(١٧)

كما اشتد التأكيد على التضامن العربي في مؤتمر القمة العربية السابع الذي عقد في الرباط (٢٦ ـ ٢٩ تشرين اول ١٩٧٤) حيث كانت المساعي الامريكية تهدف حينها الالتفاف على نتائج حرب تشرين من اجل زعزعة التضامن العربي ونشر الخلاف والشقاق بين الدول العربية .

فبرزت مباشرة **(اتفاقية فصل القوات)** (١٨) ، وقيام النظام المصري بحضور مؤتمر جنيف للسلام في الشرق الاوسط (٢١ كانون اول ١٩٧٣) دون تنسيق مع سورية .. التي قاطعته بسبب ادراكها اهدافه الرامية الى التركيز على القضايا الجزئية دون معالجة القضية الجوهر .

« في ظل هذه التطورات كان التضامن العربي يزداد ضعفا وتراجعا ، وكان المناخ الضاغط الذي خلفته حرب تشرين يفتر ويبتعد واخذ الموقف العربي يتدهور ويفقد الكثير من صلابته تجلى ذلك في اتساع الحديث عن رفع حظر النفط الذي فرض بعد حرب تشرين ولم تنفع الجهود المكثفة التي بذلها القطر العربي السوري للحيلولة دون تردي الوضع العربي والتي كان من جملتها انعقاد مؤتمر مصغر رباعي في الجزائر يومي (١٣ و ١٤ شباط ١٩٧٤) ضم كلا من **سورية ومصر والجزائر والسعودية** ، هذا المؤتمر الذي لم يتمكن من اقناع النظام المصري في التوقف عن السياسة الانفرادية التي كان ينتهجها » ..(١٩)

وبضوء ذلك جاء في بيان المؤتمر حول الاسس التي يقوم عليها العمل العربي المشترك :

« ١ ـ تعزيز القوى الذاتية للدول العربية : عسكريا واقتصاديا وسياسيا ومتابعة بناء القوى العسكرية لقوى المجابهة وتوفير متطلبات هذا البناء .

٢ ـ تحقيق تنسيق سياسي وعسكري واقتصادي عربي فعال بما يؤدي الى تحقيق تكامل عربي في مختلف المجالات .

٣ ـ عدم قبول اي محاولة لتحقيق اي تسويات سياسية جزئية انطلاقا من قومية القضية ووحدتها .

٤ ـ تجنب المعارك الهامشية والخلافات العربية بما يؤدي الى تركيز الجهود ضد العدو الصهيوني .. »(٢٠) .

وهكذا برز التأكيد ايضا على التضامن العربي في مؤتمر القمة العربية الثامن الذي عقد في القاهرة (٢٥ ـ ٢٦ تشرين اول ١٩٧٦) (٢١) حيث تقدم الامين العام لجامعة الدول العربية (**السيد محمود رياض**) بتقرير حول دعم التضامن العربي اكد فيه اهمية هذا التضامن من خلال معطياته وعوامله الموضوعية واشار الى ان « عدم نجاحنا في تطبيق ميثاق التضامن العربي ، وفي الحفاظ على صفاء العلاقات العربية ، لا يرجع الى نقص في النصوص بقدر ما يرجع الى عدم انتظام اجتماعات القمة العربية ، وعدم الالتزام باحكام التضامن العربي .. » (٢٢) .

وفي المؤتمر التاسع للقمة العربية الذي عقد في بغداد (٢ ـ ٥ تشرين ثاني ١٩٧٨) تدعم التضامن العربي بما سمي الجبهة القومية للصمود والتصدي(٢٣) من خلال مؤتمراتها(٢٤) التي اكدت على مقولة التضامن العربي المعادي للامبريالية والتوازن الاستراتيجي وبخاصة بعد خروج مصر من ساح النضال العربي ..

كما اكد مؤتمر القمة العربية العاشر الذي عقد في تونس (٢٠ ـ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٩) على « تعزيز التضامن ووحدة الصف والقرار والعمل على تسخير كل قوى السلم والعدل في العالم لمساعدتنا في الكفاح المصري الذي تخوضه الامة العربية .. » (٢٥).

وهكذا في المؤتمر الحادي عشر والثاني عشر ..

وبضوء ذلك ينظر **الحزب الى التضامن العربي** على انه « شكل من اشكال النضال الذي ينبغي الافادة منه الى اقصى حد ممكن ، وذلك بالاستناد الى المرونة المبدئية مع التمسك الراسخ بالاهداف الاستراتيجية من منطلق العمل الثوري الصحيح الذي يرفض اسلوب الرفض لمجرد الرفض ، ويرفض كذلك شعار كل شيء او لا شيء . هذا مع الاخذ بعين الاعتبار ايضا ان ثمة مجالات يمكن ان توظف فيها الامكانات والطاقات العربية ، الا وهي مجالات التنمية والتقدم ، التي تسمح بتحقيق نوع من التعاون واقامة المشاريع الاقتصادية التي تتجاوب مع مصلحة التقدم في الاقطار العربية

المتحررة دون ان يعني ذلك التخلي عن التوجه **نحو تعزيز مسيرة التقدم الاجتماعي على اسس اشتراكية .. »(٢٦)** .

واذا كان التضامن العربي بمضمونه الشامل قد تعثر في التنفيذ من قبل الدول العربية ، فان القطر العربي السوري **منذ الحركة التصحيحية اكد شعار التضامن العربي قولا وممارسة والتزم بذلك** ، وقدم ويقدم كل الامكانيات التي تسعى الى اعادة التضامن العربي الكفاحي الفعال ، وقد اجاب **الرفيق الامين العام للحزب** ردا على سؤال لممثلي الاعلام اللبناني بتاريخ ٢٩-١٢-١٩٨٠ مضمونه شروط استعادة التضامن العربي فقال : **« أن نقف وقفة واحدة ضد سياسة الاستسلام ، وضد سياسة التفريط بحقوقنا ، وهذه ليست شروطا وانما هي واجباتنا جميعا ، وهي مستلزمات النضال العادل ومن اجل استرداد الحقوق العادلة »(٢٧)** .

وانطلاقا من مقولة التضامن العربي الشعبي الذي اشرنا اليها فيما سبق نرى ان **الرفيق الامين العام للحزب** يسعى جاهدا لتحقيق هذا التضامن « ايها الاخوة في العراق ، نحن معكم ونريد ان نكون معكم في كل مكان وكل موقع ، وانا اقول لكم يجب أن نلتقي سريعا لنكون نحن في سورية والعراق والعرب من جهة وايران الثورة الاسلامية من جهة اخرى في تعاون وثيق ، وفي جبهة متينة تقف في خندق واحد ضد العدو الحقيقي وفي الجبهة الحقيقية »(٢٨) .

ويقول ايضا : « .. شعب مصر لن يقبل الى الابد ان ترفرف في سماء القاهرة راية (اسرائيل) بينما (اسرائيل) تحتل اراضي العرب وتشرد ملايين العرب . شعب مصر لن يرضى ابدا أن يتخلى عن دوره التاريخي المتميز وان يقف في اسفل السلم بينما تقف (اسرائيل) في أعلى السلم ... (٢٩) .

ان ربط مقولة اعادة التضامن العربي في المرحلة الراهنة بالجو الدولي الوفاقي الراهن من جهة ، وبواقع الوطن العربي الراهن من جهة ، وبواقع الوطن العربي الراهن من جهة ، لهو امر يدركه

القطر العربي السوري ، ويدرك ابعاده الايجابية والسلبية « تقول مصادر سورية في هذا الصدد بأن الدعوة الى التضامن العربي اكتسبت قوة وجاذبية اضافيتين نتيجة لذلك الجو الدولي الوفاقي السائد ، ولا دراك العرب ، وسورية خصوصا بأن هذه التطورات ستضعهم امام خيارات قد لا تكون مقبولة كلها من وجهة النظر العربية وقد لا يكون في مقدور العرب اتخاذ الموقف المناسب من تلك الخيارات وهم في حالة تفرق وتناحر واختلاف في ما بينهم حول تفاصيل وهامشيات ، وعلى نحو سيحول بينهم وبين ان يقبلوا او يرفضوا وهم في موقع قوة وتأثير على مجرى التطورات .

ولقد رأت دمشق انه لابد من تجاوز مرحلة الخصام والانقسام الى مرحلة الالتقاء عند المسلمات القومية المحددة في مقررات القمم العربية السابقة والانطلاق نحو مجابهة التطورات المرتقبة وخوض المعركة القومية ضد العدو الصهيوني .

الا ان مراجع سورية تحذر عند حديثها عن التضامن من « محاولات صرف هذا التضامن عن جوهره واستغلاله لتشريع وتبرئة مواقف سابقة متهاونة ، **فدمشق ترفض التضامن من اجل العودة الى ركوب قطار الحلول الجزئية والمنفردة** ، وتريده من اجل صف عربي متماسك قوي ملتزم بالقضية ومتمسك باصرار بتحرير الارض واسترداد الحقوق ومجابهة الغزوة الصهيونية » .

وفي ضوء المعطيات الراهنة عن حالة الانفراج والوفاق الدولي فان دمشق تحذر من « **الوقوع في فخ التسوية القائمة على تنازلات متبادلة لقضية الشرق الاوسط** » مشيرة الى ان « للصراع العربي — الصهيوني خصوصية واسبابا وابعادا يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار ، فهو ليس صراعا بين دولتين حول مسائل حدود او مياه .. ولا هو نزاع على اسواق داخلية او خارجية .. بل انه اصطدام حاد بين النظام الاستعماري القديم وقوى الحرية والتقدم والسلام . ولانه كذلك فان التسوية الحقيقية لا تكون الا باحترام المبادىء والمواثيق

والقرارات الدولية ومن هذا المنطلق فان (القطر العربي السوري) دعى وما يزال العرب الى اقناع الاخرين بضرورة احترام المواثيق والقرارات الدولية عند البحث عن اي حل للنزاع في الشرق الاوسط ويرى ضرورة الربط بين عملية الاقناع هذه وبين مستقبل العلاقات العربية مع الاطراف الدولية التي مايزال بعضها يراهن على حمل العرب على القبول بالتنازلات امام المعتدين الصهاينة » . ولم تكن صعبة ملاحظة حرص القطر على توضيح هذه المفاهيم وشرح كل تلك المنطلقات التي تفسر موقفها المتجاوب الحالي مع مساعي تنقية الاجواء وتحسين العلاقات ، ذلك انها مساعي دخول التضامن العربي مرحلة جديدة تتسم بالجدية « **نريد تضامنا حقيقيا جادا يجمع العرب نحو الهدف القومي ويشكل اساسا للعمل المشترك الموجه لاستخدام حق الدفاع عن النفس في مواجهة الهجمة الصهيونية التوسعية وللدفاع عن العرب ضد العدوان والاحتلال** »(٣٠) .

وبضوء ذلك قال الرفيق الامين العام للحزب في كلمته التي القاها في الذكرى الثالثة عشرة لثورة آذار (١٩٧٦/٣/٨) «**التضامن العربي .. نحن الحريصون عليه .. وبقدر حرصنا على هذا التضامن نحرص على ان لا يفرغ هذا التضامن من كل مضمونه ، التضامن العربي ليس ان نتحدث عنه بل ان نتقيد بقراراته ، .. نحن عملنا من اجل التضامن وسنظل نعمل من اجل التضامن ، وسنظل ركيزة اساسية لهذا التضامن ، ولكننا متضامنون لصد العدوان ، وليس للرضوخ للعدوان ، ولن يستطيع احد اطلاقا ان يجر هذه الامة العربية الى مواقع الرضوخ والاستسلام** »(٣١) .

ـ الهوامش والمراجع ـ

(١) ـ موسوعة السياسة ، الجزء الاول ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ص ٧٦٠ .

(٢) ـ حول التضامن العربي ـ اهم عوامله ـ ضروراته واهميته : نشرة صادرة عن القيادة القومية تاريخ ١-١-١٩٨٨ ، ص ٤ .

(٣) ـ الجامعة العربية ومؤتمرات القمة العربية (سلسلة دراسات رقم ٨) ، مكتب الثقافة والاعداد الحزبي بالقيادة القومية ، ص ٤٤ .

(٤) ـ المصدر السابق ، ص ٣٧ .

(٥) ـ المصدر السابق ، ص ٥٥ .

(٦) ـ المصدر السابق ، ص ٧١ .

(٧) ـ الوكالة العربية السورية للانباء ، قسم الدراسات والبحوث ، مؤتمرات القمة العربية ص ٧ .

(٨) ـ الجامعة العربية ومؤتمرات القمة العربية ، ص ٧٨ .

(٩) ـ د. ماجد شدود ، الاستراتيجية ، مطبعة ابن حيان ، دمشق ١٩٨٦ ـ ١٩٨٧ ، ص ٥٥٣ .

(١٠) ـ الجامعة العربية ومؤتمرات القمة العربية ، ص ٩١ .

(١١) ـ المصدر السابق ، ص ١٠٨ .

(١٢) ـ خطاب الرئيس حافظ الاسد ، جريدة تشرين ٢٥ / ٧ / ١٩٧٥ .

(١٣) ـ خطاب الرئيس حافظ الاسد ، جريدة تشرين ، ٦ / ١ / ١٩٨٥ .

(١٤) ـ الحركة التصحيحية ، عرض تاريخي وثائقي موجز ، القيادة القومية ، مكتب الثقافة والاعداد الحزبي ، دمشق ، ١٩٨٣ ، ص٢٥ .

(١٥) ـ كان القطر العربي السوري قد انضم في ٢٧-١١-١٩٧٠ الى دول ميثاق طرابلس وبذلك تشكل الاتحاد الرباعي (مصر ، سورية ، ليبيا ، السودان) .

(١٦) ـ الحركة التصحيحية ، ص ٣٩ .

(١٧) ـ المصدر السابق ، ص ١١٤ ـ ١١٥ .

(١٨) ـ سميت اتفاقية الكيلومتر ١٠١ في ١٨-١-١٩٧٤ ، حيث قام النظام المصري برئاسة السادات المقتول بتوقيع اتفاقية الفصل بين القوات المصرية والاسرائيلية ، استجابة لمساعي وزير الخارجية الامريكي هنري كيسنجر حينذاك ، وعلى الرغم من معارضة سورية لذلك انطلاقا من موقفها المبدئي المتضمن رفض تجزئة القضية الواحدة ورفض الخطوات الجزئية والاتفاقات الثنائية التي من شأنها اضعاف الموقف العربي وضرب التضامن العربي ...

(١٩) ـ الحركة التصحيحية ، ص ١٢٧ .

(٢٠) ـ المصدر السابق الحركة التصحيحية ، ص ١٣٩ . انظر ايضا : مؤتمرات القمة العربية ص ١٩ ـ ٢٠ .

(٢١) ـ حضرت هذا المؤتمر جميع الدول العربية الاعضاء في الجامعة العربية انذاك وعددها (٢٠) دولة الى جانب منظمة التحرير الفلسطينية .

(٢٢) ـ الجامعة العربية ومؤتمرات القمة ، ص ١٦٣ ـ ١٦٤ .

(٢٣) ـ نتيجة للقاءات التي تمت بين المسؤولين في كل من سورية وليبيا والجزائر واليمن الديمقراطي ومنظمة التحرير الفلسطينية والتي اكدت على ضرورة اتخاذ الاجراءات الرادعة ضد النظام المصري والاسراع في انجاز جبهة عربية تضم الدول العربية التي تلتزم باستراتيجية محددة للتصدي للمؤامرة عقد في مدينة طرابلس العاصمة الليبية خلال الفترة من ٢ ـ ٥ كانون اول ١٩٧٧ مؤتمر على مستوى القمة شاركت فيه الدول المشار اليها .

(٢٤) ـ المؤتمر الاول لجبهة الصمود والتصدي وعقد في ليبيا (٢ ـ ٥) كانون اول ١٩٧٠ بحضور سورية ـ الجزائر ـ ليبيا ـ اليمن الديمقراطي ـ العراق ـ منظمة التحرير . المؤتمر الثاني وعقد في الجزائر (٢ ـ ٤ شباط ١٩٧٨) بحضور الجزائر ـ سورية ـ ليبيا ـ اليمن الديمقراطي . المؤتمر الثالث وعقد في دمشق (٢٠ ـ ٢٣ ايلول ١٩٧٩) بحضور سورية ، الجزائر ، ليبيا ، اليمن الديمقراطي ، منظمة التحرير . المؤتمر الرابع وعقد في ليبيا (١٢ ـ ١٥ نيسان ١٩٨٠) بحضور سورية ، الجزائر ، ليبيا ، اليمن الديمقراطي ، منظمة التحرير . المؤتمر الخامس عقد في ليبيا (١٦ ـ ١٨ ايلول ١٩٨١) بحضور سورية ، الجزائر ، ليبيا ، اليمن الديمقراطي ، منظمة التحرير .

(٢٥) ـ مؤتمرات القمة العربية ، ص ٣٢ .

(٢٦) ـ حول التضامن العربي ، ص ١٢ .

(٢٧) ـ احمد قرنه «حافظ الاسد صانع تاريخ الامة وباني مجد الوطن» الجزء الاول ص٤٢٩ .

(٢٨) ـ المصدر السابق ، ص ٤٣٧ «من كلمة السيد الرئيس حافظ الاسد التي ارتجلها في المسيرة الشعبية الكبرى التي شهدتها مدينة دمشق بمناسبة الذكرى التاسعة عشرة لثورة اذار المجيدة» .

(٢٩) ـ من كلمة الرئيس حافظ الاسد التي القاها في جلسة افتتاح المؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي (٥ كانون الثاني ١٩٨٥) .

(٣٠) ـ مجلة المستقبل ، العدد ٦٢١ ، تاريخ ١٤ / ٢ ، ١٩٨٩ ، ص ٢٧ .

(٣١) ـ احمد قرنة ، ص ٣٦٩ .

الولايات المتحدة الأمريكية ومنظمة التحرير الفلسطينية

العلاقات من السرية إلى العلنية..

الرفيق د. غازي حسين

القسم الاول:

- البدايات
- بداية الاتصالات السرية بين الولايات المتحدة وقيادة عرفات
- الموقف الامريكي من منظمة التحرير في عهد كيسنجر
- الفلسطينيون في تقرير معهد بروكينغز الامريكي
- التعاون بين الولايات المتحدة وقيادة عرفات
- تقرير امريكي يؤكد ان عرفات الزعيم الفلسطيني الوحيد الذي يستطيع ان يتفاوض مع «اسرائيل».
- المصادر

في الرابع عشر من كانون اول الماضي اعلن جورج شولتس وزير الخارجية الامريكي فتح الحوار المباشر مع منظمة التحرير الفلسطينية وحصره في باديء الامر بالسفير الامريكي في تونس.

وبعد اربع وعشرين ساعة من القرار الامريكي تلقى الدبلوماسيون الامريكيون في عواصم عربية واجنبية برقية من وزارة الخارجية لرفع الحظر الامريكي عن الاتصال والجلوس والحوار مع ممثلي ومسؤولي منظمة التحرير الفلسطينية، اذ باستطاعتهم التحدث والالتقاء مع ممثلي ومسؤولي المنظمة دون التعرض للطرد كما جرى في الماضي مع اندرو يونغ ممثل الولايات المتحدة الامريكية لدى الامم المتحدة، او لاية عقوبات اخرى، مما دفع عرفات الى القول بان الولايات المتحدة غيرت موقفها، بينما اعلنت الولايات المتحدة ان منظمة التحرير الفلسطينية قد وافقت على الشروط الامريكية الثلاثة وهي الاعتراف «باسرائيل» وبالقرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ والتخلي عن الكفاح المسلح.

وانطلاقا من الموقف الامريكي الجديد تم اللقاء الرسمي والعلني الاول في السادس عشر من كانون اول من العام الماضي في تونس بين السفير الامريكي هناك ووفد من منظمة التحرير الفلسطينية مكون من ياسر عبد ربه عضو اللجنة التنفيذية للمنظمة والامين العام المساعد للجبهة الديمقراطية، وعبد الله حوراني عضو اللجنة التنفيذية، وعبد اللطيف ابو حجلة امين عام الدائرة السياسية في المنظمة، وحكم بلعاوي ممثل المنظمة في تونس.

وهكذا تكون الولايات المتحدة قد نقلت علاقاتها مع منظمة التحرير الفلسطينية من مرحلة السرية المحرمة علنيا الى مرحلة العلنية والشرعية، مما جعل الساحة الفلسطينية تنقسم الى اتجاهين:

* الاول: يعتبر العلاقة انتصارا لمنظمة التحرير الفلسطينية، والثاني يعتبرها انحرافا عن مبادىء واهداف الثورة الفلسطينية يؤدي الى تقديم المزيد من التنازلات عن الحقوق الوطنية والى اجهاض الانتفاضة.

فكيف بدات العلاقات السرية بين الطرفين وتطورت الى مرحلة العلنية ؟

ان هذه الدراسة تعطي اجابة واضحة مدعمة بالحقائق والوقائع والارقام على هذا السؤال .

البدايـات ..

عندما تاسست منظمة التحرير الفلسطينية اتخذت الولايات المتحدة موقفا معاديا لها لانحيازها للكيان الصهيوني ومعاداتها للموقف العربي من قضية فلسطين وتلوعت بميثاق المنظمة الذي ينص على معاداة الامبريالية والصهيونية ، ويطالب بتحرير فلسطين من الوجود الصهيوني والعنصري والعدواني والتوسعي .

واعتبرت الولايات المتحدة ان وجود منظمة التحرير يشكل تهديدا مباشرا لمصالحها في المنطقة بالدرجة الاولى ولاسرائيل .

يقول هنري كيسنجر في مذكراته :

كانت منظمة التحرير معادية للامبرياليين بشكل صريح ، وملتزمة بتدمير صديقين هامين من اصدقاء الولايات المتحدة « اسرائيل » والمملكة الاردنية ، لذلك لم يكن لدينا حافز قوي للمضي في الحوار مع المنظمة ليس بسبب ضغوط « اسرائيلية » بل بسبب تقديرنا للمصلحة القومية الامركية »(١) .

بدات الاتصالات الامركية ـ الفلسطينية في صيف عام ١٩٧٠ عندما اختطفت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين خمس طائرات مع ركابها كانت اثنتان منها امركيتان ، وارسلت الولايات المتحدة احد مندوبي وزارة الخارجية وعدد من موظفي شركة الخطوط الجوية الامركية ومسؤولين من السفارة الامركية في عمان للالتقاء مع مسؤولين فلسطينيين لحل مشكلة الطائرات وركابها . وجرت الاتصالات مع عناصر فلسطينية لا تنتمي الى الجبهة الشعبية وبالفعل تم التوصل الى حل وسط تقوم بموجبه الجبهة الشعبية باطلاق سراح الرهائن دون الطائرات ، واطلقت سراحهم وفجرت الطائرات .

بعد هذه الحادثة التي اثارت غضب الادارة الامركية وحتى لاتتكرر مرة اخرى قامت الادارة الامركية بارسال « روبرت كلايتون ايمز » من كبار موظفي المخابرات المركزية الى عدد من دول المنطقة بمهمة استطلاعية ، وكانت لديه تعليمات بالالتقاء مع شخصيات فلسطينية رسمية وغير رسمية(٢) .

بدات الاتصالات بين مبعوثي الادارة الامركية وقيادة عرفات منذ مجازر ايلول

ولكنها اتخذت طابعا سريا واستمرت حتى يومنا هذا بعد ان اتخذ جزءا منها طابعا علنيا ثم دخلت في مرحلة الشرعية والعلنية .

في بادىء الامر قام عملاء مخابرات مركزية واساتذة امريكيون بهذه الاتصالات تلبية لتخطيط امريكي لمستقبل السياسة الامركية تجاه الصراع العربي الصهيوني لترويض قيادة عرفات وحملها على الموافقة على الانخراط في التسوية الامركية بالشروط الامركية .

لعب اساتذة الجامعات الامركية في تلك الفترة دورا في ضرورة التوجه نحو الفلسطينيين كالاستاذ « دون بيرتز » الذي يقول :

« ان تعويض ممتلكات اللاجئين ليس هما مصريا او لبنانيا ، لان الممتلكات المفقودة ليست لبنانية اومصرية انه شان فلسطيني لايمكن حله الا بمفاوضات بين الفلسطينيين « والاسرائيليين » . (٣)

ان السياسة الامركية في الشرق الاوسط لا تتغير بتغير الرؤساء فهي تنطلق دائما من الالتزام بتفوق « اسرائيل » العسكري على الدول العربية والمحافظة على هذا التفوق لتحقيق المزيد من التوسع والسيطرة واستغلال حروب «اسرائيل» العدوانية واحتلالها للاراضي العربية لتعزيز المصالح وبسط الهيمنة الامركية على الوطن العربي وضرب حركة التحرر الوطني العربية وتعكير العلاقات بين الاتحاد السوفييتي والدول العربية وابعاده عن المنطقة .

ان الهدف من التحرك الامركي باتجاه التسوية السياسية كان وما زال هو كسب الوقت لصالح « اسرائيل » والولايات المتحدة وابعاد العرب عن التفكير باستخدام القوة لتحرير الاراضي العربية المحتلة والحصول على المزيد من التنازلات العربية والفلسطينية لفرض حل يضمن التفوق والسيطرة الاسرائيلية ويعمل على تقوية النفوذ الامركي على الوطن العربي .

ونظرا لازدياد القوة السياسية والعسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية في السبعينات اعتقدت بعض الاوساط الامركية ان الموقف الامركي اخذ يتدهور في المنطقة وان التطرف اخذ يتصاعد مما يهدد بالقضاء على النفوذ الامركي فيها ، لذلك اعلن « وليم روجرز » وزير الخارجية الامركي في تموز ١٩٧٠ عن مبادرته للتسوية ، وطرح تبني المعادلة التالية :

« اوقفوا القتال وابداوا الحوار » واقترح وقف اطلاق النار لمدة ثلاثة اشهر لتسهيل مباحثات السلام ووافقت مصر على مبادرة روجرز في ٢٢ تموز ١٩٧٠ والاردن في ٢ تموز واسرائيل في ٣١ تموز ١٩٧٠ ودخل وقف اطلاق النار حيز التنفيذ في ٧ آب ١٩٧٠ .

وركزت السياسة الامركية في آب ١٩٧٠ على انه على الولايات المتحدة الامركية

ان تتبنى دورا دبلوماسيا نشطا لتشجيع تسوية سياسية قائمة على المبادىء التي يجسدها قرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ .

وبدا روجرز يعمل للتوصل الى اتفاق بين مصر واسرائيل عن طريق سياسة الخطوة خطوة لفتح قناة السويس والتوصل الى تسوية سياسية ، لذلك اوضح سياسة الادارة الامريكية آنذاك قائلا :

اذا استمرت عملية الخطوة خطوة فسيصبح بالامكان التوصل الى حل سلمي عبر التطبيق الكامل للقرار ٢٤٢ . (٤)

وخلال شهري آب وايلول ١٩٧٠ « تزايد انهماك نيكسون وكيسنجر بأزمة الشرق الاوسط واخيرا بدا أن موت عبد الناصر في الوقت الذي كانت فيه الازمة « مجازر ايلول » توشك على الانتهاء قد فتح الباب على مصراعيه لسياسة مصرية خارجية اكثر اعتدالا بطبيعة الحال » . (٥)

ويقول وليم كوانت عـــن موقف ادارة الرئيس نيكسون في تلك المرحلة ما يلي :

« في هذا الحين اصبحت الثقة باسرائيل في البيت الابيض تفوق الثقة بوزارة الخارجية وبدا كل من نيكسون وكيسنجر على الفور تغيير وجهة السياسة في الولايات المتحـــدة » . (٦)

لم تغير مجازر ايلول توجه الولايات المتحدة نحو الفلسطينيين بل رات ان الفرصة مؤاتية اكثر مما مضى للتوصل الى تسوية سياسة بسبب ما لحق بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية في الاردن اذ قال وليم روجرز في مقابلة تلفزيونية بعد مجازر ايلول « ان مصلحة الفلسطينيين يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار » . (٧)

وقال تشارلز يوست السفير الامريكي في الامم المتحدة بعد تصريح روجرز ما يلي :

« اذا اردنا السلام في المنطقة يجب ان تراعى مصالح وتطلعات الفلســـطينيين الشرعية » . (٨)

واعترف روجرز لاول مرة بوجود الشعب الفلسطيني امام الامم المتحدة وذلك في ٢٥ــ٩ــ١٩٧٢ وقـــال :

« ان حلا شاملا يتطابق مع قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ يجب ان يراعي التطلعات المشروعة لكلا الطرفين وتطلعات الشعب الفلسطيني أيضا » . (٩)

وتابعت الولايات المتحدة الامريكية سياستها القائمة على اعتبار الشرق الاوسط منطقة هامة وحيوية للامن القومي للولايات المتحدة ، ففي شباط ١٩٧١ جاء في تقرير الرئيس نيكسون الى مجلس الشيوخ حول السياســـة الخارجية للولايات المتحدة ان

الشرق الاوسط هو اخطر منطقة في العالم خصوصا لاحتمال المواجهة بين القـــوتين الاعظم بسببه .

بداية الاتصالات السرية بين الولايات المتحدة وقيادة عرفات

يؤكد هنري كيسنجر في مذكراته ان علاقة الولايات المتحدة واتصالاتهـــا مـــع جماعة عرفات بدات في عام ١٩٧٢ وكانت تنحصر في مستوى منخفض من اقنية المخابرات المركزية ويقول :

« في اواسط ١٩٧٢ ابلغني سفيرنا في ايران ان احد المقربين من عرفات اتصل باحد مساعديه ونقل عن عرفات اهتمامه بحوار مع الولايات المتحدة يقوم على مقدمتين: الاولى ان « اسرائيل » وجدت لتبقى والثانية ان الاردن ســيكون مقر الدولـــة الفلسطينية » . (١٠)

ويتحدث كيسنجر في مذكراته عنرده على رسالة عرفات ويقول أنه في ٣ــ٨ــ١٩٧٢ « ابلغ هلمز ان هدفنا هو التعايش السلمي بين جميع الدول والشعوب في المنطقة ويهم الولايات المتحدة ان تستمع الى آراء الفلسطينيين حول كيفية تحقيق هذا الهدف من خلال المفاوضات . ان تغيير (قلب) حكومات قائمة في العالم العربي أمر غير مقبول ونحـــن ملتزمون ببقاء المملكة الاردنية » . (١١)

وفي ١٣ــ٨ــ١٩٧٢ تلقى كيسنجر نفس الموقف الذي تلقاه من احد قادة عرفات عبر المغرب فلقد حمل « فرنون والتز » نائب مدير المخابرات المركزية اسئلة مشابهة من جماعة عرفات خلال زيارته للدار البيضاء من الملك الحسن .

ويقول هنري كيسنجر عن اتصالاته بعرفات :

« في العاشر من تشرين الاول ١٩٧٣ بعد ٤ ايام من بداية حرب الشرق الاوسط وصلنا خبر من عرفات ولكن ليس من خلال المغرب بل جاءتنا رسالة عبر بيروت وابدت منظمة التحرير (المقصود عرفات) استعدادها للمشاركة في مفاوضات عربية مع « اسرائيل » . (١٢)

وبعد ان يتطرق كيسنجر الى قدرة وامكانيات منظمة التحرير في خلق المشاكل في البلدان العربية يقول بصراحة ان الولايات المتحدة كانت تريدها أن تتصرف على أفضل وجه خلال المراحل الدقيقة الاولى من الخطوات الامريكية نحو مصر ، « ففي ٢٥ــ١٠ــ٧٣ قررنا الاستجابة للعرض كي نكسب هامشا للمناورة فالاتصال الوحيد الهام الـــذي تم مع (م.ت.ف) اثناء عملي هو رسالة عبر المغرب تقول اننا مستعدون لارسال ممثلين للقاء مسؤولين في (م.ت.ف) وذلك لتمكيننا من الخروج برد امريكي على اقتراحات عرفـــات » . (١٣)

ويورد كيسنجر في مذكراته انه تم تعيين الجنرال فرنون والترز ممثلا للامريكيين

في المباحثات وتم اقتراح عقد الاجتماع في بداية تشرين الثاني لكي تضمن الولايات المتحدة هدوء (م.ت.ف) خلال رحلة كيسنجر الى القاهرة في تلك المرحلة الدقيقة .

وبناء على طلب نيكسون وكيسنجر التقى فيرنون والترز ٢٣-١١-١٩٧٣ في الرباط مع ابو حسن علي سلامه كممثل لياسر عرفات .

وعقد الجنرال والترز الاجتماع الثاني مع احد قادة عرفات في عاصمة شرق اوسطية في آذار ١٩٧٤ وحرص الجنرال والترز على ان يؤكد في هذين الاجتماعين انه يتكلم بصفته مبعوثا للرئيس نيكسون وليس بصفته كنائب لمدير وكالة المخابرات المركزية .

وكان كيسنجر قد طلب منه أن يكون فكرة واضحة عن تفكير ممثلي عرفات وعليه الا يقدم الاقتراحات أو وعود امريكية سوى القول انه ينوي متابعة اللقاءات مع ممثلي عرفات وان على الفلسطينيين ان يفهموا أن لدى الولايات المتحدة مبدأ ثابتا هو عدم التخلي عن اصدقائها ونحن نعتبر ملك الاردن صديقا ولكننا نتوقع انه في اطار التسوية الشاملة يمكن أن تتطور العلاقة بين الحركة الفلسطينية والمملكة الاردنية باتجاه الوفاق .

ويلخص كيسنجر نتائج اتصالات الولايات المتحدة مع ممثلي عرفات بالعبارة التالية :

« لقد حقق اجتماع والترز هدفه القريب كسب الوقت ومنع اي هجمات راديكالية على بداية عملية السلام وبعد ذلك توقفت الهجمات ضد الامريكيين من جانب فصيل عرفات في منظمة التحرير الفلسطينية . » (١٤)

واكدت الصحف الامريكية ان علي حسن سلامة رئيس جهاز امن فتح قد قام بالاتصالات مع الامريكيين بتوجيه مباشر من ياسر عرفات بعد اغتيال الدبلوماسيين الامريكيين في السفارة الامريكية بالخرطوم وانتهى الاجتماع بالاتفاق على وقف الهجمات على الامريكيين من جانب حركة « فتح » .

وتقول المصادر الامريكية ان ابو علي حسن سلامة تولى مسؤولية تنفيذ هذه السياسة الجديدة التي جابهت اختبارها الاول في ١٦-١٠-١٩٧٣ عندما زار كيسنجر لبنان فقد ابلغ علي حسن سلامة الجانب الامريكي بانه قد تقع محاولة اعتداء على حياة كيسنجر في بيروت وهي محاولة أشار اليها كيسنجر في مذكراته بقوله انه اطلع على تقرير يفيد بان هنالك خطة لاسقاط طائرته ولذلك جرى تحويل هبوط طائرة كيسنجر من بيروت الى قاعدة رياق الجوية في البقاع وقالت المصادر الامريكية ان علي حسن سلامة قد حشد قوة كبيرة لحماية كيسنجر أثناء زيارته للبنان ، كما انه جرى تحذير هيرمان ايلتس السفير الامريكي السابق في مصر بان بعض العناصر الفلسطينية كانت تعد العدة لاغتياله .

واتبعت الولايات المتحدة دبلوماسية الخطوة - خطوة من اجل التوصل الى التسوية التي تريدها وذلك في الفترة الواقعة ما بين ١٩٧٠ - ١٩٧٣ معتمدة عدم التعامل المباشر مع ممثلي عرفات ورفض قبول منظمة التحرير لانها لا تعترف باسرائيل وبالقرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ .

وعملت ادارة نيكسون على تجميد احتلال اسرائيل للاراضي العربية ومنع اندلاع حرب شاملة واستمرت في المحافظة على تفوق اسرائيل العسكري متذرعة بالحجج التالية :

*** لن يجرؤ العرب على مجابهة اسرائيل اذا كانت متفوقة عليهم .**

*** اذا كانت اسرائيل ضعيفة سيقود ذلك الى الاصطدام بالجيوش العربية .**

*** اسرائيل قوية وآمنة ستكون متفهمة للمفاوضات ومستعدة لتقديم تنازلات .**

*** اعتراف العرب بعدم قدرتهم على استعادة اراضيهم بالقوة العسكرية سيجبرهم على التفاوض مع اسرائيل وتقديم التنازلات لها .**

وتولى الصهيوني كيسنجر وزارة الخارجية في ايلول ٧٣ واعتقدت الولايات المتحدة بان الوضع في المنطقة يسير لصالحها ولذلك عبر جوزيف سيسكو نائب وزير الخارجية الامريكي في ٢٩-٢-١٩٧٣ عن اعتقاده بان الوضع الراهن في الشرق الاوسط تحسن بشكل ملحوظ للاسباب التالية :

*** استمرار وقف اطلاق النار بين مصر واسرائيل .**

*** استقرار الوضع في الاردن بعد مجازر ايلول .**

*** انخفاض العمليات الفدائية من الحدود الاردنية واللبنانية .**

*** التقليص الحاد لاحتمالات التصادم الامريكي - السوفييتي .**

ولكن خاب ظن الولايات المتحدة الامريكية واندلعت حرب تشرين التحريرية في السادس من تشرين عام ١٩٧٣ وتم التوصل الى وقف اطلاق النار في ٢٢-١٠ الا ان القوات الاسرائيلية المعتدية لم تتقيد بذلك وتحركت في ٢٣-١٠ لتطويق الجيش المصري الثالث .

وفي صباح ٢٤-١٠ اكتشفت المخابرات المركزية تحركات عسكرية سوفييتية تشير الى احتمالات تدخل سوفييتي كما بعث الرئيس السوفييتي برسالة عاجلة الى

الرئيس الامريكي يطلب فيها القيام بعمل أمريكي ـ سوفييتي مشترك لاجبار اسرائيل على تنفيذ وقف اطلاق النار وانه في حالة عدم القيام بعمل مشترك فان الاتحاد السوفييتي سيتخذ الخطوات المناسبة من جانب واحد .

وكان الرد الامريكي استنفار القوات الامريكية في جميع انحاء العالم ومعارضة الرئيس نيكسون ارسال قوات سوفييتية ـ امريكية أو أي تحرك سوفييتي منفرد .

الموقف الامريكي من منظمة التحرير في عهد كيسنجر

وضع كيسنجر استراتيجية الولايات المتحدة بعد حرب تشرين التحريرية والتي تقوم على اساس اسرائيل قوية ومتفوقة على العرب وعلاقتها الخاصة مع الولايات المتحدة ستجبر العرب على التعامل مع الولايات المتحدة . وتقوم ايضا على اساس السعي لانهاء الحظر النفطي وعزل السوفييت عن المفاوضات والاستفراد بالحل السياسي .

واعتقد كيسنجر تماما كما اعتقد بن غوريون مؤسس الكيان الصهيوني ان مصر يجب ان تكون محور السياسة الامريكية ، وان اخراج مصر وجيشها من الحظيرة العربية سيوفر الظروف الملائمة للتوصل الى تسوية امريكية بين مصر واسرائيل مقدمة للتوصل الى التسوية الشاملة .

واصبحت السياسة الامريكية في عهد كيسنجر تقوم على مبدأين :

المبدا الاول :

الدور الدبلوماسي الفعال للولايات المتحدة للتوصل الى تسوية عربية ـ اسرائيلية .

المبدا الثاني :

السير في التسوية باسلوب الخطوة خطوة ، وذلك لانهاء حظر النفط وابعاد الاتحاد السوفييتي عن المنطقة والمحافظة على احتلال اسرائيلي للاراضي العربية واجبار العرب على التوجه الى الولايات المتحدة وموافقتهم على الهيمنة الامريكية على الوطن العربي والتوصل الى الاعتراف العربي باسرائيل وعقد الصلح معها وضمان امنها وازدهارها والتنازل عن السيادة العربية في فلسطين العربية .

وركز كيسنجر اهتمامه الرئيسي على الجبهة المصرية ـ الاسرائيلية ، على ان يأتي دور الاردن وقيادة عرفات فيما بعد .

اما بالنسبة لمنظمة التحرير الفلسطينية فكان كيسنجر « يحاول وضع استراتيجية لابقاء منظمة التحرير الفلسطينية خارج الاطار (المفاوضات) لفترة زمنية اطول قليلا.

لقد انطلق الموقف الامريكي من منظمة التحرير حتى قمة الرباط من ان المنظمة لا تتكلم باسم الشعب الفلسطيني ، ولكن قمة الرباط التي قررت ان المنظمة هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني جعلت الولايات المتحدة تعمل على استيعاب قيادة عرفات المنحرفة .

لقد مهد لقاء الرباط بين علي حسن سلامة وبين نائب مدير وكالة المخابرات المركزية الجنرال « والترز » للقاءات اكثر اهمية بين مبعوثي الادارة الامريكية وممثلي ياسر عرفات وطرح الجنرال والترز مبعوث الرئيس نيكسون في لقائه مع مبعوثي عرفات أربع نقاط :

النقطة الاولى :

تتناول علاقة منظمة التحرير بالاتحاد السوفييتي ومما قاله الجانب الفلسطيني « ان الفلسطينيين والعرب أتجهوا نحو الاتحاد السوفييتي واعتمدوا على الدعم السوفييتي ، لان الولايات المتحدة لم تترك خيارا اخر بسبب انحيازها لاسرائيل ورفضها اتباع سياسة متوازنة في الشرق الاوسط ، وانتم ايها الامريكيون تريدون وقف النفوذ السوفييتي لكنكم تساعدون في الحقيقة على انتشار وتقوية هذا النفوذ بانحيازكم لاسرائيل ودعمكم الاعمى لها » .

النقطة الثانية :

التي اثارها والترز مبعوث نيكسون تتعلق بالدولة الفلسطينية المحتملة في الضفة والقطاع وكيف ستكون هذه الدولة وكيف ستتعامل مع محيطها العربي ؟.

النقطة الثالثة :

تتعلق بمستقبل العلاقة الفلسطينية الاردنية وطرح الجنرال والترز السؤال التالي : هل ستعمل الدولة الفلسطينية (المحتمل قيامها) على اسقاط النظام الاردني وجعل الاردن والضفة والقطاع دولة فلسطينية واحدة ؟.

النقطة الرابعة :

تتعلق بمدى استعداد منظمة التحرير قبول السلام مع اسرائيل ، وهنا اكد الجانب الفلسطيني رغبة قيادة عرفات في تحقيق السلام العادل والدائم والشامل في المنطقة . (١٥)

ويعتقد بعض المحللين السياسيين ان الرئيس نيكسون كان يرغب بتحقيق سلام شامل في المنطقة ويسعى الى معرفة وجهة نظر منظمة التحرير تمهيدا لاشراكها في عملية السلام او لاعطائها دورا فيها ، ولكن حدث تطوران مهمان حالا دون ذلك الاول:

الشروط التي وضعها كيسنجر على منظمة التحرير والثاني فضيحة ووترجيت واستقالة نيكسون .

وخلال زيارة نيكسون الى القاهرة في النصف الاول من حزيران عام ١٩٧٤ حدد موقفه من الفلسطينيين ووافق على « انه ينبغي ادخال الفلسطينيين المفاوضات في وقت مبكر بينما اقترح السادات ان تجري الولايات المتحدة محادثات مع زعماء منظمة التحرير الفلسطينية (المقصود قيادة عرفات) فبدا نيكسون ايجابيا » . (١٦)

وبعد ان انتهت زيارته للقاهرة توجه الى السعودية واجرى فيها مباحثات يومي ١٤ و ١٥ حزيران ١٩٧٤ . وكان الكيان الصهيوني المحطة الاخيرة للرئيس نيكسون وهناك تحدث الى غولدا مائير عن اهمية معالجة حصر الضفة الغربية مع الملك حسين وقال لها : « ان حسين الآن أفضل من عرفات فيما بعد » . (١٧)

وفي الايام الاخيرة من حكم الرئيس نيكسون تعقد موقف الولايات المتحدة من منظمة التحرير بسببين :

الاول : استعداد السادات الموافقة على أن يكون الملك حسين الناطق باسم الفلسطينيين .

والثاني : تراجع الوزارة الاسرائيلية عن الشروط التي وضعتها لاعترافها بمنظمة التحرير الفلسطينية كطرف في المفاوضات وهي أن تضع منظمة التحرير حدا نهائيا للاعمال الفدائية وان تقبل بوجود اسرائيل وارتدت الى موقفها السابق وهو ان الاردن هو الذي يمثل الفلسطينيين وينطق باسمهم .

ويقول « وليم كوانت » عضو مجلس الامن القومي الامريكي سابقا عن الموقف الامريكي في تلك الفترة ما يلي :

« ولعله كان من المحتمل لو كان هناك رئيس قوي في موقع القيادة ان يتم تصعيد دبلوماسية الخطوة – خطوة والانتقال الى مفاوضات أكثر شمولا يدخل ضمنها الفلسطينيون » . (١٨)

وعندما بدأت مفاوضات اتفاق فصل القوات الاول بين السادات والعدو الصهيوني طلبت الولايات المتحدة من السادات ان يعرض على قيادة منظمة التحرير تجميع قواتها المتواجدة في جميع الدول العربية على الارض المصرية وان تكون القاهرة مقر القيادة الفلسطينية ، وابلغ السادات ياسر عرفات بهذا الموضوع وقال السادات له بانه سيقوم باقناع الادارة الامريكية بالتباحث مع منظمة التحرير الفلسطينية واتفقا على العديد من الامور ، وطلب السادات من الادارة الامريكية عدم معارضة دعوة عرفات لالقاء خطاب في الامم المتحدة في نهاية عام ١٩٧٤ وذلك لاظهار حسن نوايا الولايات المتحدة تجاه عرفات . وفي بداية تشرين الثاني عام ٧٤ توجه وفد منظمة

التحرير الفلسطينية الى الامم المتحدة ، وكنت انذاك عضوا في الوفد الفلسطيني.

وبعد ايام قليلة من وصولنا الى نيويورك وبالتحديد في ١٣–١١–١٩٧٤ وصل ياسر عرفات ، وانتقل من المطار الى مقر الامم المتحدة بطائرة هليوكبتر امريكية ، وفي مقر الامم المتحدة هبط معه علي حسن سلامة ، وكانت مفاجأة كبيرة لي ، لان الولايات المتحدة واسرائيل والمانية الاتحادية حملت ابو حسن سلامة مسؤولية ما حدث في دورة الالعاب الاولمبية في مدينة ميونيخ عام ١٩٧٢ ، وسألته على الفور : « كيف حصلت على فيزا لدخول الولايات المتحدة وانت مطلوب للانتربول بعد حادثة ميونيخ، فاجابني قائلا حصلت عليها من السفير الامريكي في القاهرة . وكان انذاك هيرمان ايليتس الذي انقذ حياته علي حسن سلامة من الاغتيال لان بعض الجهات كانت تخطط لاغتياله فاخبره بتفاصيل محاولة الاغتيال .

لقد عقد القرار الذي اتخذته قمة الرباط في ٢٨ تشرين الاول ١٩٧٤ الموقف الامريكي والاسرائيلي والمصري من منظمة التحرير الفلسطينية ، اذ لم يترك القرار المجال لاي زعيم عربي حق تمثيل الاراضي الفلسطينية المحتلة او التفاوض باسمها ، لان قمة الرباط اعتبرت منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني وكان القرار لطمة كبرى في وجه كيسنجر .

ولكن خلال مباحثات كيسنجر مع قادة العدو الاسرائيلي لتوقيع اتفاق فصل القوات الثاني وقعت الولايات المتحدة ثلاث اتفاقيات مع اسرائيل واربع وثائق سرية ، وكانت الوثيقة السرية الاولى تدور حول المؤتمر الدولي في جنيف وتضمنت التعهد التالي :

« ان الولايات المتحدة لن تعترف بمنظمة التحرير او تتفاوض معها طالما لم تعترف هي بحق اسرائيل في الوجود وطالما لم تقبل بقراري مجلس الامن « ٢٤٢ و ٣٣٨ ». (١٩)

ويعني هذا ان الولايات المتحدة واسرائيل على استعداد للاعتراف بمنظمة التحرير والتفاوض معها اذا حققت هذه الشروط الامريكية والاسرائيلية .

ولكن شروط كيسنجر على منظمة التحرير الفلسطينية لم تمنع الادارة الامريكية من متابعة وضع تصور لتسوية سياسية لقضية فلسطين .

فادلى «هارولد ساوندرز» وكيل وزارة الخارجية الامريكية لشؤون الشرق الاوسط بتاريخ ١٢–١١–٩٧٥ ببيان أمام لجنة العلاقات الخارجية التابعة للكونغرس الامريكي طرح فيه السياسة الامريكية تجاه « مشكلة الفلسطينيين » ، وتحدث فيه عن البعد الفلسطيني في « الصراع العربي – الاسرائيلي » وانه يشكل جوهر النزاع وان المصالح المشروعة للعرب الفلسطينيين يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار في اية مفاوضات من أجل سلام عربي – اسرائيلي .

وفيما يلي اهم ما ورد في وثيقة ساوندرز من نقاط :

١ ـ ان اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط هو هدف رئيسي للولايات المتحدة وقد اكدت الحكومة الامريكية مرارا ان المصالح المشروعة للعرب الفلسطينيين يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار في مناقشات السلام العربي ـ الاسرائيلي .

٢ ـ ان البعد الفلسطيني للنزاع العربي ـ الاسرائيلي هو قلب النزاع .

٣ ـ ان حلا نهائيا للمشكلات الناجمة عن تقسيم فلسطين وتاسيس دولة اسرائيل مع معارضة العرب لهذين الحدثين لن يكون ممكنا الا اذا تم التوصل الى اتفاق يحدد الوضع العادل والنهائي للشعب العربي الذي يعتبر نفسه فلسطينيا .

٤ ـ ان مشكلة فلسطين قد عولجت في البداية على انها مشكلة اشخاص فقدوا ديارهم ... حقيقة اخرى يجب ان ناخذها في الحسبان وهي ان عددا كبيرا من الملايين الثلاثة الذين يسمون انفسهم فلسطينيين معتبرون اليوم جماعة لها هويتها كشعب يرغب في ان يكون له صوت في تقرير وضعه السياسي ...

٥ ـ هناك مقولة في العالم العربي نسمع كثيرا بانه لن يكون هناك سلام حتى تلبى حقوق الفلسطينيين .

٦ ـ اوضح بعض القادة العرب ان تعريف المصالح الفلسطينية متروك للشعب الفلسطيني نفسه ليقرره .

٧ ـ ان الامر المطلوب كخطوة اولى هو تحرك دبلوماسي يساعد على تقديم تحديد معقول للمصالح الفلسطينية ... (٢٠) .

ان وثيقة «ساوندرز» وضعت المبادىء الاساسية لترويض قيادة عرفات واستيعابها في التسوية الامريكية عن طريق ابداء الرغبة الامريكية للاعتراف بالحقوق السياسية للفلسطينيين وان البعد الفلسطيني هو جوهر النزاع ولا يمكن للسلام ان يسود بدون ايجاد حل للمشكلة الفلسطينية وان قراري مجلس الامن الدولي ٢٤٢و٣٣٨ اساس الحل .

وافق كيسنجر في تشرين الثاني عام ١٩٧٤ على عقد اجتماع سري بين وفد امريكي وياسر عرفات عندما كان موجودا في نيويورك ، وتم عقد الاجتماع في مقر الوفد الفلسطيني في فندق والدورف استوريا وحضره علي حسن سلامة مع ياسر عرفات وخلال الاجتماع عقد الوفد الامريكي الصفقة التالية مع عرفات :

« الولايات المتحدة مستعدة للاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وبفتح حوار رسمي مع منظمة التحرير ، اذا تعهد عرفات بالعمل على وقف كل « العمليات الارهابية الفلسطينية خارج

اسرائيل » وخصوصا وقف العمليات ضد الاهداف الامريكية والمواطنين الامريكيين (٢١) .

وكان موضوع اللقاء : الاتفاق للجم الارهاب الفلسطيني الدولي .

وادت نتيجة هذا اللقاء الى توطيد التعاون السري في المجال الامني وخاصة ضمان امن وسلامة الدبلوماسيين والمواطنين الامريكيين في لبنان .

وذكرت صحيفة «هيرالد تريبيون» انه تم في الاجتماع التوافق على ان يسعى عرفات وجناح فتح التابع له في منظمة التحرير لوقف الاعمال الارهابية الدولية خارج اسرائيل . وافصحت الولايات المتحدة انها مستعدة في المقابل الاعتراف بالحقوق المشروعة للفلسطينيين .

وقالت مجلة «دير شبيجل» في عددها ١٩٨٨/١١ ان علي حسن سلامة زود المخابرات الامريكية لمدة خمس سنوات بمعلومات خدمت سلامة الامريكيين في الشرق الاوسط وكان همزة الوصل بين الامريكيين ومنظمة التحرير الفلسطينية .

وبلغ التعاون الامني ذروته خلال الحرب الاهلية في لبنان في عامي ١٩٧٥و١٩٧٦ ، اذ قامت جماعة عرفات بحماية السفارة الامريكية ومنازل الدبلوماسيين الامريكيين في بيروت الغربية وساهموا في وقف الاعتداءات المخطط لها في عام ١٩٨١ ضد سفارتي الولايات المتحدة في زائير وروما وحاولوا عام ١٩٨٢ دون اختطاف الملحق العسكري الامريكي في بيروت ومنعوا وقوع العملية : ومنعوا في نفس العام احتجاز الامريكيين كرهائن في البنايات التي تتعرض للقصف الاسرائيلي في بيروت الغربية ووقع عرفات في اب ١٩٨٢ اتفاقاته مع فليب حبيب لخروج المقاتلين الفلسطينيين من لبنان ، وغادر بيروت بحماية الاسطول الامريكي السادس الى اثينا .

الفلسطينيون في تقرير معهد بروكينغز الامريكي :

وضع معهد بروكينغز في الولايات المتحدة تقريرا بتاريخ ١٧ ـ ١٢ ـ ١٩٧٥ حول موقف الولايات المتحدة من التسوية في الشرق الاوسط ايده موظفون في وزارة الخارجية واعضاء في الكونغرس الامريكي وسياسيون بارزون منهم بريجنسكي مستشار الرئيس كارتر لشؤون الامن القومي وشارل يوست واكاديميون وصحفيون وبعض الامريكيين من اصل عربي ويهود امريكيون .

وتطرق التقرير الى العوامل التي تدفع الولايات المتحدة للتوجه نحو التسوية السياسية ويؤكد ان للولايات المتحدة مصلحة حيوية في اقامة السلام الدائم في منطقة الشرق الاوسط ، لان الشروط الاساسية ملائمة للتسوية الامريكية اكثر من اي وقت مضى وقد كانت قوية بعد حرب ١٩٦٧ ثم ضعفت تدريجيا واعيدت لها الحياة بعد حرب ١٩٧٣ ونشطت بعد اتفاق فصل القوات الثاني في سيناء عام ١٩٧٥ .

ويتطرق التقرير الى العناصر الاساسية للتسوية وبشكل خاص الى الفلسطينيين ويطالب بالاعتراف بحقهم في تقرير المصير مقابل اعترافهم بحق اسرائيل والاردن في تقرير المصير ويؤكد ان التسوية لا يمكن تحقيقها الا اذا اعترفت اسرائيل بحق الفلسطينيين في تقرير المصير على شكل دولة فلسطينية مستقلة او كيان فلسطيني متحد طواعية مع الاردن ، وجاء فيه . « يؤمن الفلسطينيون بان لهم الحق في تقرير المصير . ولكي تكون التسوية السلمية قابلة للحياة والتفاوض والانجاز يجب الاعتراف بهذا الحق من حيث المبدا كجزء من التسوية وان تتم تلبيته على الصعيد العملي . وفي مقابل ذلك على الفلسطينيين ان يعترفوا بالحق ذاته لاسرائيل والاردن وان يعترفوا ايضا بصورة خاصة بسيادة اسرائيل ووحدة اراضيها ضمن حدود متفق عليها ، وان يقبلوا كل الاجراءات والضمانات التي تتضمنها التسوية السلمية ومما لاشك فيه ان هذه التسوية لا يمكن تحقيقها الا اذا قبلت اسرائيل مبدا حق تقرير المصير للفلسطينيين . وهناك طرق مقبولة بشكل عام لتطبيق هذا المبدا عمليا اذ يمكن تحقيق ذلك على شكل :

١ ـ دولة فلسطينية مستقلة تقبل بتعهدات والتزامات اتفاقيات السلام .

٢ ـ او كيان فلسطيني متحد طواعية مع الاردن ولكنه يمارس استقلالا ذاتيا واسعا ويمكن اكمال اي من هذين الشكلين بتعاون اقتصادي وثيق مع اسرائيل والاردن قد يتطور الى سوق مشتركة اقليمية أوسع(٢٢) .

ويعني هذا النص ان على الكيان الفلسطيني المزمع اقامته عن طريق التسوية الامريكية ان يدخل باتحاد اقتصادي مع اسرائيل والاردن واقامة سوق شرق اوسطية فيما بعد .

ويشير التقرير الى اعادة توطين اللاجئين الفلسطينيين وتقديم تعويض معقول عن املاكهم المفقودة سواء كانوا من العرب او اليهود ويطالب بتقديم مساعدات اقتصادية للكيان الفلسطيني من الدول العربية والمجتمع الدولي .

ويتعرض التقرير الامريكي الى الجهة التي يمكنها ان تتفاوض باسم الفلسطينيين ويقول : « ان منظمة التحرير الفلسطينية لم تعترف علنا بحق اسرائيل في الوجود كما ان اسرائيل لم تعترف بالمنظمة ولا وافقت على اقامة دولة فلسطينية ، ورغم ذلك يمكن القول بثقة أن حل البعد الفلسطيني للصراع سيتطلب اشتراك ممثلين فلسطينيين موثوقين مستعدين لقبول وجود اسرائيل » (٢٣) .

ويحصر التقرير التسوية السياسية في اطار دور الولايات المتحدة مع الاطـراف

المعنية في المنطقة لانها تتمتع بثقة الاطراف في كلا الجانبين وتمتلك الوسائل لتقديم المساعدات الاقتصادية والعسكرية .

ان خدمة مصالح الولايات المتحدة الامريكية والمصالح الاسرائيلية في المنطقة العربية هي التي دفعت بمعهد بروكنغز ان يضع هذا التقرير للتوصل الى تسوية سياسية لان الولايات المتحدة تخشى على اصدقائها المعتدلين من العرب واحتمال استبدالهم بمن هم اكثر تصلبا وتعنتا منهم ، ويمكن القول ان التسوية التي تضمنها التقرير تسوية امريكية بالشروط والاملاءات الاسرائيلية وعن طريق الولايات المتحدة الحليف الاستراتيجي للعدو الاسرائيلي لخدمة مصالح الولايات المتحدة والكيان الصهيوني وعلى حساب الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني والمصالح القومية للامة العربية ..

التعاون الامني بين الولايات المتحدة وقيادة عرفات :

قام علي حسن سلامة رئيس جهاز الـ ١٧ (امن فتح) والذي يأتمر بأمر ياسر عرفات وبتوجيه مباشر منه بالاتصال مع ممثلين عن وكالة المخابرات المركزية ، وذلك بعد اغتيال السفير الامريكي في الخرطوم ، وكانت الرياض اهم مراكز هذه الاتصالات ، ثم تلتها مدينة فيينا ، وانتهت الاجتماعات بالاتفاق على وقف الهجمات على الامريكيين من جانب حركة فتح .

واستنادا الى التقارير الامريكية تم انقاذ حياة السفير الامريكي في القاهرة من التصفية ،وكذلك تمت الحيلولة دون تصفية هنري كيسنجر في لبنان باسقاط طائرته.
وتضيف المصادر الامريكية بانه عندما توجه دين براون الى بيروت في ربيع ١٩٧٦ والحرب الاهلية في ذروتها نجحت الولايات المتحدة في مساعيها للحصول من علي حسن سلامة على ضمان سلامة دين براون ، واكد براون بان الدبلوماسية الامريكية سعت الى الحصول على هذه الضمانة باقتراح من هنري كيسنجر .

وبتاريخ ٢٠/٦/١٩٧٦ قام علي حسن سلامة بتهيئة الترتيبات الامنية لاجلاء ٢٦٢ من الرعايا الامريكيين والاوروبيين من بيروت على متن الاسطول الامريكي السادس واستمر علي حسن سلامة في تقديم حماية حركة فتح للدبلوماسيين الامريكيين وتضرب التقارير الامريكية على ذلك مثلا بقولها ان علي حسن سلامة قد احبط في عام ١٩٧٨ محاولة لاقتحام السفارة الامريكية في روما واعتقل ٩ من افراد المجموعة التي قيل انها تعمل بوحي من احدى الجهات العربية .

وتؤكد التقارير الامريكية المنشورة ان المساعدات الامنية التي تقدمها قيادة عرفات لم تقتصر على الامريكيين ، بل تعدتهم الى الاوروبيين واليابانيين في سياق حصر العمليات الفدائية في الارض المحتلة ووقف العمليات الخارجية .

وعندما كنت اعمل كممثل لمنظمة التحرير في فيينا فوجئت بان ابو علي حسن سلامة كان يتردد باستمرار على فيينا من شهود فلسطينيين شاهدوه هناك ، وعندما وقعت حادثة اغتياله خلال انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني بدمشق ، اتصل مكتب كرايسكي في مكتب منظمة التحرير الفلسطينية وقال بان المستشار النمساوي يريد مقابلتي وعندما عدت من دورة المجلس الوطني في دمشق وقابلت كرايسكي فوجئت بتقديم كرايسكي التعازي لي لموت صديقه علي حسن سلامة ، وحصل نفس الشيء مع « ارفين لانس » وزير الداخلية واحد أعوان كرايسكي الرئيسيين .

كما تبين لي خلال عملي بان عصام السرطاوي كان يقوم بنفس العمل الذي كان يقوم به علي حسن سلامة اي تقديم معلومات أمنية عن فلسطينيين وعرب للعديد من اجهزة الامن في أوروبا الغربية .

واخذت العلاقات الامنية تتطور فيما بعد وتكللت بعقد العديد من الاتفاقيات مع اجهزة الامن في عدة اقطار اوروبية غربية واجهزة امن ياسر عرفات قام بعقدها وتوقيعها أبو اياد صلاح خلف .

ولعب فلسطينيو الولايات المتحدة مثل «ادوارسعيد وهشام الشرابي» وغيرهم فيما بعد دورا بدفع العلاقات الفلسطينية ـ الامريكية الى الامام بدعم وتوجيه كاملين من ياسر عرفات وبعض أعضاء قيادته ، ويقال أن الدكتور اسماعيل فهمي وزير الخارجية المصري لعب دورا عبر وزير الخارجية الامريكي وليم روجرز في العلاقات الامريكية ـ الفلسطينية وذلك للتوصل الى موافقة الولايات المتحدة على مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية في مؤتمر جنيف .

وعندما اطاحت الثورة الاسلامية في ايران بالشاه واحتلت مجموعة من الطلبة مقر السفارة الامريكية في طهران واحتجزت العاملين فيها كرهائن ، وبلغت العلاقات الايرانية ـ الفلسطينية اوجها انذاك ، التقى بريجنسكي مستشار الامن القومي للرئيس كارتر مع احد ممثلي ياسر عرفات في الجزائر ، وتم الاتفاق(٢٤) على أن تقوم منظمة التحرير بالتوسط لدى ايران لاطلاق سراح الرهائن مقابل اعتراف امريكي بالمنظمة كما طلب كرايسكي ايضا من ياسر عرفات التوسط لاطلاق سراح الرهائن وسافر الى طهران وبحث الموضوع مع القيادة الايرانية ويقول انه تمكن من اطلاق سراح الامريكيين السود والنساء المحتجزات وكلف هاني الحسن رئيس ممثلية فلسطين في طهران بمتابعة الموضوع ، ولكن المحاولة فشلت .

متابعة الاتصالات الامريكية ـ العرفاتية :

واستمرت الاتصالات بعد توقيع اتفاقيتي كامب ديفيد ومعاهدة السلام المصرية ـ الاسرائيلية ، وذلك بتوجيه من الجنرال هيج وزير الخارجية الذي كلف « جون ادوين بروز » والذي يشغل منصب مدير الاكاديمية الدولية للبحوث من اجل السلام متابعة الاتصالات .

وقام بروز بزيارة لبنان عام ١٩٨١ والتقى مع ممثلين عن قيادة عرفات كما تقول الواشنطن بوست وقال لهم بانه موفد بشكل رسمي من قبل الادارة الامريكية ، وكرر بروز زياراته الى بيروت وزارها في عام ١٩٨٢ عدة مرات ويمكن حصر قنوات الاتصالات الامريكية ـ الفلسطينية التي تمت انذاك في ثلاث جهات :

الجهة الاولى :

المكلفة رسميا من طرف قيادة منظمة التحرير وضمت ثلاث شخصيات على علاقة وثيقة بامريكا وتعمل في الحقلين التجاري والعلمي .

الجهة الثانية :

قامت وبمعرفة القيادة الفلسطينية ، بالتنسيق مع كمال حسن علي وزير الخارجية المصري وهي شخصية فلسطينية ذات علاقة وثيقة بالقاهرة .

الجهة الثالثة :

قام بها عصام السرطاوي بعد ان اخذ الضوء الاخضر من عرفات واللجنة المركزية لحركة فتح . (٢٥) .

واستمرت الاتصالات حتى الغزو الاسرائيلي للبنان وتابعها فيليب حبيب خلال الغزو والحصار عبر الوسيط اللبناني مع ياسر عرفات مباشرة .

ويشير كريم بقرادوني في كتابه « السلام المفقود » الى هذه الاتصالات التي كانت تحدث في عز الحرب والحصار وتم فيها نقل رسائل مباشرة بين وزارة الخارجية الامريكية ومجلس الامن القومي الامريكي وبين ياسر عرفات .

وكان محور هذه الاتصالات اعتراف قيادة عرفات باسرائيل وقبولها القرار ـ٢٤٢ـ و٣٣٨ـ والتخلي عن الكفاح المسلح والموافقة على الخطة الامريكية بخروج المقاتلين الفلسطينيين من بيروت مقابل اجراء الحوار العلني مع المنظمة . وخلال حصار بيروت قابل ياسر عرفات وفودا ، منها الوفد الامريكي برئاسة عضو الكونغرس ماكلوفسكي والذي وقع له ياسر عرفات وثيقة ماكلوفسكي الشهيرة وتتضمن اعترافه بجميع قرارات الامم المتحدة ومنها قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، وذلك كورقة حسن سلوك منه للولايات المتحدة على حساب القضية والوطن ومنظمة التحرير الفلسطينية.

لقد كان محور الاتصالات الامريكية خلال حصار بيروت يدور حول اعتراف ياسر عرفات بالكيان الصهيوني وبالقرار رقم «٢٤٢» واستجاب عرفات للمحاولات الامريكية باسلوبين :

الاول : توقيعه على وثيقة ماكلوفسكي وموافقته على خطة المبعوث الامريكي فيليب حبيب بالخروج من بيروت .

والثاني : استقباله لوفد من الاسرائيليين الصهاينة .

لقد وافق ياسر عرفات على خطة الخروج التي وضعها فيليب حبيب ، ووقع العديد من الاتفاقيات ، وخرج من بيروت الى اثينا بحماية الاسطول السادس ، وقام بتطبيق تعهداته للامريكيين فوزع المقاتلين الفلسطينيين في تسعة اقطار عربية بعيدة عن خطوط المواجهة واتخذ من تونس مقرا سياسيا له كما طلبت منه الولايات المتحدة وعبر وساطتها ببعض الجهات المعنية بالامر .

وذكرت صحيفة الهيرالدتريبيون ان وزير الخارجية الامريكي جورج شولتس اعترف بان ادارة ريغان كانت قد اجرت اتصالات غير مباشرة مع ياسر عرفات وذلك عبر وسيط لمدة تسعة اشهر . (٢٦) .

ولقد اكد ياسر عرفات مساعيه للاستجابة للشروط الامريكية ورغبته في التعامل معها وذلك في اجتماعه مع الملك الحسن ونشرته وكالة وفا الفلسطينية وجاء فيه على لسان عرفات ما يلي :

« الواقع ياجلالة الملك اننا نفتح الابواب التي يغلقها الامريكيون او التي تضايقهم فعندما قالوا لا لخيار الدولة المستقلة قلنا لهم نعم للكونفدرالية ونحاول جهدنا ان نكون ايجابيين . » (٢٧) .

واوضح عرفات في مقابلة اجرتها معه الاوبزرفر البريطانية نهجه المتجاوب مع المطالب والشروط الامريكية وحدده مرحليا بالنقاط التالية :

اولا ـ استعداده للاعتراف بالكيان الصهيوني .

ثانيا ـ موافقته على التفاوض المباشر مع العدو .

ثالثا ـ الامتناع عن العمليات العسكرية ضد العدو الصهيوني في الداخل والخارج .

رابعا ـ نقل مقر منظمة التحرير الى القاهرة . (٢٨) .

وقادت مواقف عرفات وتصريحاته وعلاقاته السرية والعلنية مع مبعوثي الادارة الامريكية الى قناعة الولايات المتحدة بان عرفات هو الزعيم الفلسطيني الوحيد الذي سيدخل المفاوضات المباشرة مع اسرائيل ويقبل بحل امريكي للصراع العربي - الاسرائيلي .

تقرير امريكي نشر عام ١٩٨٣ يؤكد ان ياسر عرفات هو الزعيم الفلسطيني الوحيد الذي يستطيع ان يتفاوض مع اسرائيل .

توصلت الولايات المتحدة الامريكية والاشتراكية الدولية الى القناعة بان ياسر عرفات هو الزعيم الفلسطيني الوحيد الذي يستطيع الدخول بمفاوضات مباشرة مع اسرائيل ويقبل بحل امريكي للصراع العربي ـ الاسرائيلي وذلك انطلاقا من تصريحات العديد من السياسيين الامريكيين والاوروبيين ومن دراسة انجزها فريق عمل امريكي من جامعة هارفارد برئاسة الاستاذ هربرت كلمان جاء فيها ما يلي :

ان عرفات يمتلك المقدرة والرغبة للوصول الى اتفاق مع اسرائيل يدعو الى الاعتراف المتبادل والتعايش السلمي اذا ما قدمت الحوافز والضمانات اللازمة (٢٩) ويتضمن التقرير الامريكي النقاط التالية:

١ ـ لن يكون هناك سلام اسرائيلي ـ فلسطيني دون الاعتراف بحق الشعبين .

٢ ـ المنظمة فقط او بعض الجهات التي تستمد الشرعية منها هي التي تملك القدرة على الوصول الى اتفاقية سلام مع اسرائيل عن طريق التفاوض .

٣ ـ المنظمة بقيادة ياسر عرفات قد المحت الى استعدادها لا برام معاهدة سلام مع اسرائيل .

٤ ـ ان استعداد عرفات للسلام ربما كان مخلصا وجديرا باختبار جاد .

ويتطرق التقرير الامريكي الى موقف ياسر عرفات ويقول :

« اشار قادة منظمة التحرير وبالتحديد ياسر عرفات شخصيا وبصورة متكررة الى استعدادهم للتحرك نحو تكييف سياسي مع اسرائيل ، وحتى في غمرة حصار بيروت استجاب عرفات وبصورة ايجابية للنداء الذي وجهه كل من « منديس فرانس وناحوم غولدمان وفيليب كوزنيك » الذي يدعو للاعتراف المتبادل بين اسرائيل والشعب الفلسطيني » (٣٠) .

ويقول هربرت كلمان في التقرير الامريكي :

« عبر لي عرفات عن ثقته بانه ما دامت الظروف متغيرة فان مواقف اسرائيل ستتغير وسيسود المعتدلون في العراك السياسي داخل اسرائيل » . ويمضي التقرير الامريكي يقول :

« ان تصور عرفات المتميز غير المتعصب لالوان الطيف السياسي الاسرائيلي ... منسجم مع طريقة الانسان الذي يبحث عن شريك مستقبلي في المفاوضات . وا... التصور بانهم ليسوا جميعا على نفس الشاكلة يخلق مدخلا للمفاوضات والمساومة ...

ويؤكد التقرير الامريكي موافقة عرفات على اقامة اتحاد فلسطيني – اسرائيلي – اردني واستشهد عرفات مشيدا بمقالة « لابا ابان » نشرها عام ١٩٨٠ اقترح فيه حلا من طراز اتحاد دول البنيلوكس اي اتحاد فلسطيني – اردني – اسرائيلي .

ويوضح التقرير حقيقة موقف ياسر عرفات من المفاوضات والاعتراف والتعايش ويقول « ان تصور عرفات الذهني لاسرائيل يوحي بانه مرحب بالمفاوضات وانه يبحث عن الاسرائيليين الذين يكون بوسعه ادارة الحوار معهم .. واخيرا ان تصوره الذهني للمستقبل يبدو منسجما ومتسقا مع رؤيته للتعايش السلمي المبني على الاعتراف المتبادل » .

وفي ختام التقرير يطالب فريق العمل الامريكي بما يلي :

« على حكومة الولايات المتحدة ان تبدأ في مباحثات مباشرة مع قيادة منظمة التحرير وان تجد طرقا لتشجيع السعي من أجل الخيار السياسي داخل المنظمة . وفي سبيل هذا الهدف ينبغي لها دعم دعاة الحل السياسي داخل مجالس المنظمة وهيئاتها ومساعدة عرفات والمرتبطين به للحفاظ على وضعهم السياسي وصلاحيتهم اثناء توجيه جهودهم نحو تسوية تاتي عن طريق المفاوضات ... ان منظمة التحرير بقيادة عرفات يمكن أن تكون الشريك الاكثر صلاحية وشرعية ورغبة في مفاوضات السلام » .

المصادر :

١ – جريدة الثورة ، دمشق في ١٨–١٢–١٩٨٤ .
٢ – القبس في ١٥–٣–١٩٨٤ .
٣ – الدكتور محمد شديد ، الولايات المتحدة ، الفلسطينيون بين الاستيعاب والتصفية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٨١ ص ١٣٧ .
٤ – نفس المصدر السابق ص ١٤٤ .
٥ – وليم كوانت ، عقد من القرارات ١٩٦٧ – ١٩٧٦ ، السياسة الامريكية تجاه الصراع العربي الاسرائيلي ، مكتب الخدمات الطباعية دمشق ١٩٨٤ ، ص ١٤٨ .

٦ – نفس المصدر السابق ، ص ١٥٠ .
٧ – الدكتور محمد شديد ، الولايات المتحدة والفلسطينيون بين الاستيعاب والتصفية ص ١٤٦ .
٨ – نفس المصدر السابق ص ١٤٦ .
٩ – نفس المصدر السابق ص ١٤٧ .
١٠ – جريدة الثورة ، دمشق في ١٨–١٢–١٩٨٤ ، نقلا عن مذكرات كيسنجر الفترة الخاصة بالاتصالات مع منظمة التحرير ص ٦٢٤–٦٣٠ .
١١ – نفس المصدر السابق .
١٢ – نفس المصدر السابق .
١٣ – نفس المصدر السابق .
١٤ – نفس المصدر السابق .
١٥ – مجلة المستقبل ، باريس ، العدد ٤١٧ تاريخ ٢٦–٢–١٩٨٥ ص ٢٦ .
١٦ – وليم كوانت ، السياسة الامريكية تجاه الصراع العربي – الاسرائيلي ص ٣١٠ .
١٧ – نفس المصدر السابق ص ٣١١ .
١٨ – نفس المصدر السابق ص ٣١٥ .
١٩ – مجلة المستقبل ، باريس العدد ٦١٨ تاريخ ٢٤–١٢–١٩٨٨ ص ١٣ . او انظر : الموسوعة الفلسطينية ، الجزء الثالث ص ٤٥٩ .
٢٠ – الموسوعة الفلسطينية ، المجلد الثاني ص ٥٣٣ .
٢١ – مجلة المستقبل ، العدد ٦١٨ تاريخ ٢٤–١٢–١٩٨٨ ص ١٣ .
٢٢ – الموسوعة الفلسطينية ، المجلد الاول ص ٢٨٥ .
٢٣ – نفس المصدر السابق .
٢٤ – القبس في ١٥–٣–١٩٨٤ .
٢٥ – مجلة المستقبل عدد ٣٦٦ تاريخ ٢٥–٢–١٩٨٤ .
٢٦ – انظر هيرالد تريبيون في ٢٢–٢–١٩٨٤ .
٢٧ – وكالة وفا الفلسطينية في ١٥–١–١٩٨٢ .
٢٨ – جريدة الثورة ، دمشق في ١٨–١٢–١٩٨٤ .
٢٩ – نشر التقرير في مجلة عالم النفس الامريكي ، عدد شباط عام ١٩٨٣ .
٣٠ – نفس المصدر السابق .

دراسات فكرية

ثورة آذار ومهمات البناء الثقافي في صورته القومية الاشتراكية..

الرفيق: فايز عز الدين

● ان الثورات في تواريخ الشعوب ، هي الحوادث الكبرى ، التي تشهد فيها البشرية انعطافات حادة ، في كافة مجالات حياتها ، ونسق تفكيرها ، وبنيان ثقافاتها ، وحضاراتها ، وحين تكون حوادث التاريخ،هي المتغيرات الكبرى الطارئة فيه على بنية الحياة وتشكيلاتها الاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية ، فان الناتج المنطقي ، هو ان المجتمعات ، او الامم ، لن تبقى بعد هذه الثورات او الحوادث ، كما كان عليه حالها قبلا .

فالعبرة في الحوادث ، التي هي مادة التاريخ ، هي ان يحصل تغير في الاحوال ، سواء اكان كبيرا ام صغيرا ، محليا ، ام عالميا(١) .

وهنا يمكن لنا ان نقول : **هل سورية قبل ثورة الثامن من آذار ١٩٦٣ ، كما هي عليه بعدها ؟** .

ودون ان نتكلف عناء التفكير في الاجابة ، نجد ان الواقع المعاش يقدم براهينه مقنعة على كل صعيد .

ومما لا شك فيه ان **الوطن العربي قبل ثورة الثامن من آذار** ، كذلك ليس كما بعدها ، من حقيقة ان الثورة – في بعدها **القومي الاشتراكي** – منحت النضال العربي المعاصر ، من اجل التحرر والتوحد القومي ، آفاق جديدة ، ولم تعد الدعوات الاقليمية ، او الانعزالية خطرة على الوجدان القومي عند العرب ، كما كانت عليه في مراحل سابقة من التاريخ العربي الحديث والمعاصر .

جاء في المنطلقات النظرية للحزب :

« .. اما في وطننا العربي ، فان النضال قومي اشتراكي ، في آن واحد ، ومطالب بتحقيق ثلاث ثورات دفعة واحدة ، ثورة علمية على الصعيد الفكري ، وثورة على الصعيد الاقتصادي ، وثورة ضد التجزئة »(٢) .

● – الثورة العلمية على الصعيد الفكري قاعدة البناء الثقافي الجديد :

الثورة العربية ، بالبعد القومي الاشتراكي ، ثورة مركبة . اي تآلف ثورات ثلاث ، في عملية تاريخية واحدة وفي راس هذه الثورات: الثورة العلمية على الصعيد الفكري . واذا جاز لنا السؤال :

لماذا اولا الثورة العلمية على الصعيد الفكري ؟ .

فان الاجابة تقتحم الشعور مباشرة لتؤكد على ان الفعل التاريخي ليس بمجد ، ما لم يرافقه الوعي . فالجماهير التي هي اداة هذا الفعل التاريخي ، لن تستطيع الامساك بالحلقات الرئيسة لتشكيلات الواقع العربي ، ولا الوصول الى صياغة افكارها ، ووضع خطط العمل المستقبلي ، قبل تشكل الوعي والثقافة لديها .

اي بدون تثقيف الجماهير باهداف الحزب ، ومبادىء الثورة ، لن تصل هذه الجماهير الى الفاعلية الواعية ، والاندماج في المشروع المستقبلي للثورة . ومن المعروف ان الجماهير الكادحة – بصورة

خاصة ـ هي مشروع الفعل التاريخي قبل الثورة ، ولكنها بعد الثورة تصبح مادة هذا الفعل وهدفه(٣) .

فالمعرفة ، والثقافة ، ليستا مجرد تأمل وانتماء ، وانما هما سلطة ، وقوة من اجل التغيير القومي والاشتراكي ، بما يخدم تطلعات الانسان الذي هو غاية كل ثورة .

يقول الرفيق الامين العام للحزب المناضل حافظ الاسد :

« ... فالحياة ثورة دائمة ، والانسان هو اداة الثورة ، كما هو منطلقها وغايتها »(٤) .

فالثورة في الوعي ، والعلم اولا ضرورة تاريخية ، تؤكدها البنية الحاضرة للانسان العربي ، ان في عقله ، او نفسه ، او موروثه الثقافي او نظريته الاخلاقية .

ومن رؤية علمية موضوعية،لايمكن لنا ان نتجاهل صورة الثقافة العربية منذ عصر النهضة العربية حتى اليوم ، كيف كانت تعتريها ـ باستمرار ـ مظاهر الاخفاق ، نتيجة للتغييب القصدي للمنهج العلمي السليم في التفكير والابداع ، الذي جعل الثقافة العربية غير قادرة على اكتشاف طريق التغيير والثورة ، اذا ما قلنا : انها ـ **بفعل التغريب ، او الطقوسية** ـ منعت من التجاوب مع حركة التحول الاجتماعي ، لدى الجماهير المتطلعة نحو التحرر الكامل .

وازاء هذه الوضعية الثقافية غير المؤهلة لانجاز المهمات القومية والاجتماعية،بالبعدين التحرري والتوحيدي،والمضمون الديمقراطي الشعبي، **فقد وجد الحزب**، انه في راس مهام النضال العربي القومي الاشتراكي ، على الصعيد القطري او القومي ، هو انجاز هذه الثورة العلمية على الصعيد الفكري ، بهدف وضع الانسان العربي ، بل ادخاله في شروط ثقافية جديدة ، تكسبه الوعي الصحيح ، وتزوده بالمنهج العلمي الموضوعي للتعامل مع الحياة ، والمجتمع ، والتفكير ، بارادة حرة . لاسيما اذا كنا نعلم ، ان الانسان العربي ، لازال يعيش

معركة قاسية مع ثقافة التخلف والتبعية والتجزئة ، وما تقتضيه سياساتها من ابعاد مقصود له عن اكتساب الروح العلمية ، او النزوع نحو الحداثة والتجديد بالمفهوم الديمقراطي الانساني .

وانه لامر طبيعي ان تسبق الثورة السياسية والاجتماعية ـ في الحركة والانجاز ـ **الثورة في حقل العلم والمعرفة .. او في حقل الثقافة على وجه العموم** . من واقع ان الثقافة لا يمكن ان تفبرك على نحو اصطناعي ، او تستنسخ ، او تنقل او تتكون عن طريق الجمع الميكانيكي لعناصر مستعارة ، بل ستكون اولا عن طريق الانماء لما هو افضل في التراث الثقافي للشعب ، بعد اعادة التفكير فيه من وجهة نظر الحزب وبروح نقدية .

كما ستكون ابداعا مرتبطا بالحركة الاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية ، ومعبرا عنه ، اي ستكون ابداعا ذهنيا يعبر عن الوقائع الجديدة لحياة الانسان في ظل النظام الاجتماعي والاقتصادي الجديد . فالثقافة ابداع مرتبط بالمجتمع ، ولا وجود لثقافة خارج اطار المجتمعات الانسانية . وقد شاهدنا كيف تعكس ثقافات الشعوب ، ملامح تواريخ تلك الشعوب ، وحيوياتها ، جغرافيا ، واجتماعيا ، واقتصاديا ، وسياسيا ، وحضاريا » .

اذن الثقافة شأن مقترن بحركة العقل ، والمعرفة ، التي تمارس التجريد المستمر للتغيرات المادية في النظام الاجتماعي والاقتصادي الجديد ، فهي اذن عملية تراكم طبيعي ، **وتواتر « متواصل »** ، ونمو **« منطقي »** لمجموع المعارف ، والمنجزات المادية للنظام الاجتماعي الجديد (٥) .

وعلى هذا الاساس العلمي لبناء الثقافة ، فقد اكدت **ثورة حزبنا في الثامن من آذار** ، في برنامجها المرحلي ، على تطوير التعليم ، وربطه بالتنمية للمجتمع والانسان . وسعت الثورة ، لاحداث تغييرات ، جوهرية في النظام التربوي ، والتعليمي القائم . بهدف خلق الانسان العربي الجديد ، بالمواصفات القومية الاشتراكية(٦) .

والشأن الطبيعي ، في مثل هذه المهمة الكبرى ، ان تكون عقيدة الحزب ، هي الاساس النظري الذي تنجز به مهمات الثورة على الصعيد العلمي والفكري .

كذلك لقد ادركت ثورتنا – منذ انطلاقتها – ان الاشتراك الواعي والنشط لجماهير الشعب ، في عملية التغيير الحاصلة على كافة الصعد الوطنية والقومية ، لابد ان يقوم على تثقيف الجماهير . حيث ان توظيف طاقة الجماهير المبدعة ، في عملية الثورة يحتاج الى ثقافة ومثقفين اولا . ولذا فقد بدأ التفكير بالمؤسسات الثقافية . وتنظيم الشعب في منظماته ، التي تستطيع ان تعيد تربيته بروح الثورة ، وتكون عاداته الاخلاقية بافق قومي واشتراكي منسجم مع **عقيدة البعث العربي الاشتراكي ، كحركة قومية ، شعبية ، انقلابية ، تناضل في سبيل الوحدة والحرية والاشتراكية .**

● **الحركة التصحيحية عززت الحياة الثقافية للجماهير واكملت البناء :**

ان البرنامج الشامل ، للنهوض في الحياة الوطنية ، والقومية في جوانبها الاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية والثقافية ، لم تستطع ثورة الثامن من آذار ان تستكمله على نحو ((**كامل**)) ، بسبب من علاقات الذاتي والموضوعي في عملية التثوير الجارية في مناحي الحياة ، تلك العلاقات التي احتدمت فيها تناقضات التبني للمنهج العلمي الثوري في انجاز المشروع السياسي للثورة .

وقد ظهر اليمين متخلفا ، عاجزا عن حمل طموح الثورة ، والسير بها بما يتناسب وارادة جماهير البعث . لذلك فقد كانت المعركة الثقافية ، او مهمات البناء الثقافي ، بروح علمية ثورية ، لابد ان تحسم داخل الحزب ، **الذي هو عقل الثورة والجماهير اولا** . ومن ثم تستأنف عملية البناء الثقافي لجماهير الثورة . وعلى الرغم من حركة ٢٣ شباط ١٩٦٦ ، لكنه بدا ان الحزب قد تخلص

من اليمين ، ليدخل في عقلية المناورة التي اعاقته عن حسم اتجاهاته ، والالتصاق اكثر بجماهيره . مع العلم ان مهمات البناء الثقافي ، تعاظمت اهميتها الى اوسع الحدود ، في مرحلة مابعد عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، الصهيوني الامبريالي .(٧)

ففي جو هذه الوضعية السياسية ، والعسكرية (**بسبب من ظروف العدوان**) والثقافية ، والاقتصادية تفاعلت ارادة قواعد الحزب ، بروح مهمات المصير ، للحزب والثورة ، والوطن ، **لتعلن عن فجر جديد ، فكانت الحركة التصحيحية المجيدة ، بقيادة الرفيق المناضل حافظ الاسد صبيحة ١٦/ت٢/١٩٧٠ .**

ومنذ انطلاق التصحيح في الثورة ، او ثورة التصحيح ، دخلت عملية البناء الثقافي للحزب ، وجماهير الثورة ، حالة من الاستقرار، والجدية ، اصبحت معها عملية البناء هذه ، تنال الاهتمام المطلوب من خطط الحزب ، ووضعت الثقافة – في خضم المرحلة التاريخية التي تعيد تعبئة قوى الشعب والثورة ، من اجل خوض معركة التحرير – امام المهمة الكبرى ، بوصفها اداة لتغيير الانسان من الداخل ، وتطوير استعداداته للكفاح وتحرير الارض .

ونحن هنا لانقرر في مسالة الانجاز الثقافي الكامل . اي ان الحزب في تلك الفترة ، لم ينجز ثورته الثقافية على نحو ((**كامل**)) . باعتبار أن الثقافة لاتطفر طفرا ، وانما هي ابداع متسلسل لعملية تطور مادي ، واجتماعي ، وديمقراطي ، واقتصادي ، وحضاري شاملة .

ولكن الذي تؤكده ان السياسة الثقافية الصحيحة ، التي بدات تمارسها **الحركة التصحيحية ، وقائد المسيرة التاريخية ، هذه السياسة التي لم تجعل رقابة على الفكر سوى رقابة الضمير ،** والتي قربت المفكرين ، والادباء ، والفنانين ، واحاطتهم بالعناية والرعاية . ويسرت لهم سبل الابداع الثقافي ، والمساهمة في معركة المصير . (٨)

بهذه السياسة وضعت الثقافة امام دورة التجديد في سائر وجوه الحياة الوطنية والقومية ، بهدف النهوض بأعباء معركة الوطن القادمة .

ولقد تعددت المؤسسات التي تعنى بشؤون الثقافة والتثقيف الجماهيري ، من وزارة الثقافة ، الى اتحاد الكتاب العرب ، والمكاتب الثقافية في المنظمات الشعبية ، ووزارة الاعلام . ومن خلال سياسة الحزب في مجال البناء الثقافي ، وانجاز شعار الثقافة الجماهيرية ، اصبحت كافة هذه الجهات والمؤسسات تعمل ضمن استراتيجية واحدة ، غايتها استكمال مهمات البناء الثقافي على نحو **« كامل » « وابداعي »** .

واية نظرة يمكن ان تلقى على التجربة الثقافية في سورية بعد **ثورة التصحيح** ، سوف تتوصل - بدون جهد كبير - الى ان الثقافة قد تعمقت تجربتها ، واغتنت ، وتنوعت ، وربطت بالحياة العامة ، بعد ان كانت اقرب الى الممارسة الفوقية ، من خلال الطوق الذي كانت النخبة تضربه دائما من حول الثقافة . (٩)

وهل يوجد في حقل الثقافة - بعد الحركة التصحيحية المجيدة - افضل من تحقيق **ديمقراطية التعليم** ، واحداث ثورة في التعليم العالي ، تغيرت فيها البنية الاجتماعية للتعليم الاكاديمي ، وفتحت امام ابناء الفقراء ابواب المعاهد العليا ، والجامعات ، بما جعلهم يتخطون حاجزا كان مفروضا عليهم طيلة الزمن الذي سبق الحركة التصحيحية ؟ وقد بلغت الميزانية العامة للتعليم العالي لعام ١٩٨٨ / ٥٤٠ مليونا /

ان عملية البناء الثقافي لجماهير الشعب ، اصبحت الهم الاساسي ، في توجهات الثورة ، وتوجيهات القائد . وفي تتبع رقمي لتطورات البناء الثقافي منذ الحركة التصحيحية في العام ١٩٧٠ الى اليوم نجد مايلي :

● **كانت الموازنة العامة لوزارة الثقافة :**

٥ر٢٣٣ر٠٠٠ ل.س عام ١٩٦٩

فبلغت ٤٠ر٥٠٠ر٠٠٠ ل.س عام ١٩٧٦

لتصبح ٥٥ر٠٠٠ر٠٠٠ ل.س عام ١٩٨٨

● **كانت الموازنة العامة لاتحاد الكتاب العرب :**

٣٠٠ر٠٠٠ ل.س عام ١٩٧٠

فبلغت ٤ر٣٥٠ر٠٠٠ ل.س عام ١٩٨٤

لتصبح ٦ر٣٠٠ر٠٠٠ ل.س عام ١٩٨٨

● الموازنة العامة المخصصة للعمل الثقافي وخدمته في المكاتب المعنية في المنظمات الشعبية ، تزيد اليوم على :

٢٥ر٠٠٠ر٠٠٠ ل.س

واذا نظرنا الى المراكز الثقافية التابعة لوزارة الثقافة ، فإننا سنجد انها :

كانت ٣٠ مركزا عام ١٩٧١ .

اصبحت ٥٦ مركزا عام ١٩٧٧ .

لتصبح اليوم ٧٣ في سورية وخارجها .

ومن المعروف ان المراكز الثقافية الموجودة في دول العالم ، تعمل على نشر الثقافة العربية ، وتؤدي خدماتها الكبيرة .

● **وقد بلغت الموازنة العامة لوزارة التربية :**

/٥ر١٥٤٥ر٠٠٠/ ل.س في العام ١٩٨٨ .

الى جانب كل هذا ، تبقى الحملة الوطنية لمحو الامية في سورية ، تاخذ اعتبارها الكامل ، من حيث مارصد لها ، او من حيث ما انجز ففي كل عام كانت تمحى امية /٣٠٫٠٠٠/ مواطنا ، وفي عام ١٩٨٤ انتقل الرقم الى /١٠٠٫٠٠٠/ مواطنا سنويا .

وللدور المتكامل الذي تلعبه الجهات الرسمية في الدولة ، والمنظمات الشعبية ، والجيش والقوات المسلحة ، فإن سورية لابد ان تحتفل – **في الزمن القصير القادم** – بإنهاء امية المواطن الاخير .

وفي اطار البناء الثقافي اولت الثورة – والحركة التصحيحية بصورة خاصة – العناية الفائقة للسينما ، والمسرح ، والآثار ، والمتاحف ، والفنون الشعبية ، وقد اقيمت المؤسسة العامة للسينما ،ودعم المسرح القومي ، والفرق الفولكلورية ، وانشيء المعهد العالي للفنون المسرحية ، وكذلك وضع حجر الاساس للمدينة السينمائية في سورية ، والامل المعقود ، هو ان تقصر المسافة بين الطموح ، والواقع الثقافي في عمل هذه المؤسسات .

وفي العام ١٩٨٤ ، دشنت المكتبة الحافظية (**مكتبة الاسد الوطنية**) التي تعتبر من اهم الصروح الثقافية ، ليس في سورية وحسب ، بل في المنطقة العربية عموما ، من خلال ماتقدمه من خدمات مكتبية رئيسة ، او برامج ثقافية ، او معارض للكتب .

وقد دشن **الرفيق الامين العام للحزب** ، قائد المسيرة التاريخية هذا الصرح الثقافي شخصيا وسجل مقولته الشهيرة في سجل الشرف :

« الثقافة هي الحاجة العليا للبشرية ، جميع حاجات الانسان لها حدود الا حاجة الثقافة فلا حدود لها .» (١٠)

وهكذا – اذا – تدخل الذكرى السادسة والعشرون لثورة الثامن من آذار ، لتستقبلها جماهيرنا الكادحة ومنظماتنا الشعبية ،

ومؤسساتنا الثقافية ، بروح التصميم ، على اغناء المضمون الفكري للثقافة ، من خلال نضال جماهير الثورة ، وتعزيز الاساس النظري لهذه الثقافة المنطلق من **عقيدة البعث القومية الاشتراكية** .

والحرص على ان يكون التوجه الاجتماعي لثقافتنا ، معبرا – بإبداعية – عن ارادة جماهير **الوحدة والحرية والاشتراكية** على صعيد عربي .

فالثورة في حقل الثقافة ، لابد ان ترافق الثورة في الحقول الاخرى ، السياسية والاجتماعية والاقتصادية ولاسيما في قطرنا الصامد ، حيث تتصدى سورية اليوم للوضعية العربية المتداعية، بخطورتها السياسية ، والثقافية ، والوجودية على المصير العربي برمته .

واذا كانت سورية اليوم ، تتصدى – باعتماد كبير على قواها الذاتية ، لمهمات النضال العربي القومي الاشتراكي ، في ظل هذه الوضعية المؤما اليها ، فان سياسة بناء التوازن الاستراتيجي من اجل الصمود في وجه دولة العدوان الصهيوني الامبريالي ، ومشروعها السياسي المهدد للمصير العربي ، هي الرد الطبيعي والحاسم . وفي مجال بناء هذا التوازن ، تؤدي الثقافة دورها في تعبئة الوطن والمواطنين بروح القضية العادلة للعرب ، والاصرار على اسقاط المشروع السياسي للصهيونية .

ويبقى ان نقول : **ان الثورة الثقافية التي تنجز بقيادة الحزب وتوجيهات الرفيق القائد ، تجعل جماهيرنا ، بقطاعاتها الواسعة ، واجيالها ، تمارس التعلم والتثقف ، بهوية سياسة واضحة ومحددة .**

« المراجـع والهوامش »

(١) ـ دور الفرد في التاريخ ـ بليخانوف ص ٢٧ .

(٢) ـ بعض المنطلقات النظرية لحزب البعث العربي الاشتراكي ص ١٩ .

(٣) ـ حـول مشـكلات الشـورة والثقافـة في العالـم الثالث ـ د. طيـب تيزيني ص ٢٣٩ .

(٤) ـ القائد والشباب ـ كتاب صادر عن اتحاد شبيبة الثورة ص ٣٥ .

(٥) ـ المؤلفات الكاملة الجزء ٢١ ، لينين ص ٩٩ .

(٦) ـ تجربة الحزب القائد للدولة والمجتمع ـ سلسلة الاعداد ٢٦ ، صـادر قومية ص ٤٤ .

(٧) ـ تجربة الحزب ـ المصدر نفسه ص ٥٢ .

(٨) ـ ملامح الحياة الثقافية في سورية ، دراسات ـ بحث الدكتور حسـام الخطيب ص ١٧ .

(٩) ـ ملامح الحياة الثقافية ، المصدر نفسه ص ١٨ ، د. حسام .

(١٠) ـ الكتاب المصور الصادر حول مكتبة الاسد الوطنية ص ٤ .